حركة التحرير الوطني
الفلسطيني
(فتح)

الطريق إلى كامب ديفيد

(3)

دراسات سياسية

الطريق الى كامب ديفيد

وصل باراك الى الحكم نتيجة السياسة الغوغائية التي اتبعها سلفه نتنياهو، والتي ألّبت عليه الاصدقاء قبل الاعداء. كان الموقف الامريكي حاسماً في ضرورة الاطاحة بنتنياهو الذي تعارضت ممارساته السياسية مع استراتيجية الولايات المتحدة تجاه الشرق الاوسط. فمع بداية عهده كانت هبة الاقصى التي هددت الاستقرار في المنطقة. والتي لولا التدخل الحاسم من الرئيس كلينتون وفرض بروتوكول الخليل والانسحاب من اجزاء من المدينة، الاكثر قدسية بالنسبة لليهود، لتصاعدت الانتفاضة الى ذروة تفوق كل ما سبقها. ولقد كان لموقف نتنياهو من المؤتمر الاقتصادي للشرق الاوسط وجنوب افريقيا المنعقد في الدوحة ما عزز التضامن العربي حول العراق، وحال دون طغيان العدوان الذي كان يستهدف العراق حكومة وشعباً. ولقد كان لفترة التعايش التي جمعت الوفدين الفلسطيني، برئاسة الاخ ابو عمار، والاسرائيلي برئاسة نتنياهو في منتجع نهر الواي، مع الوفد الامريكي برئاسة كلينتون، اثرها في اكتشاف حقيقة الصراع وابعاده بحيث ادرك الجانب الامريكي ان نتنياهو غير مؤهل لقيادة مسيرة تؤدي الى الى سلام ولا حتى الى استقرار. لقد بدأت الادارة الامريكية في معظمها ومدعمة باطراف من اللوبي الصهيوني يتطلعون نحو باراك كوريث شرعي لرابين الرجل الذي يصفه الاخ ابو عمار بالشريك في سلام الشجعان.

كانت نهاية المرحلة الانتقالية على الابواب. وكان تنفيذ مذكرة نهر الواي يعني الانسحاب من جميع الاراضي المحتلة عام 1967 باستثناء قضايا الوضع النهائي. وقد ادرك نتنياهو ان التزامه بالمرحلة الثالثة لاعادة الانتشار ستجعل ياسر عرفات في موقع قوة يعلن من خلالها قيام دولة فلسطينية مستقلة تسيطر على 90 %من مساحة الضفة الغربية وقطاع غزة. وتكون قادرة على الاستمرار في التفاوض حول قضايا الوضع النهائي وبقية الاراضي باعتبارها اراضي محتلة وليست متنازع عليها.

كان باراك يعلن عن تأييده لمذكرة نهر الواي ويطالب نتنياهو بتنفيذها. ولكن انقلب بعد فوزه في الانتخابات ضد المذكرة لكي لا يلتزم بالمرحلة الثالثة من الانسحاب. وظهر على حقيقته منذ اللحظة الاولى التي ظهرت فيها بوادر الفوز. وفي نفس المكان الذي تم فيع اغتيال رابين ارتفعت لاءات باراك الشهيرة، وكأنما يريد من خلالها ان يرتدي علناً رداءاً واقياً من رصاص المتطرفين الصهاينة.

وللخروج من مأزق الالتزام بانسحابات المرحلة الثالثة، راوغ باراك حتى وصل الى فرض اتفاقية جديدة تحت عنوان مذكرة شرم الشيخ، استطاع من خلالها التهرب بشكل او باخر من الالتزام بمرجعية عملية السلام، سواء تلك التي اقرت في مدريد او حتى اتفاقية اوسلو وما تمخض عنها من اتفاقيات وبروتوكولات ومذكرات.

وحرص باراك على عملية دمج المرحلة الثالثة مع قضايا الوضع النهائي، فكان تعيينه لعوديد عيران رئيس وفد التفاوض لقضايا المرحلة الانتقالية، رئيسا لوفد التفاوض حول قضايا الوضع النهائي. في حين

حرصت م. ت. ف على الفصل بين القضايا بتعيينها الاخ ياسر عبد ربه رئيساً للوفد المفاوض حول قضايا الوضع النهائي في حين كان الاخ صائب عريقات يرأس الوفد المفاوض حول قضايا المرحلة الانتقالية.

وللهروب من المواجهة الجديدة وتنفيذ الاستحقاقات المطلوبة في المرحلة الانتقالية، اعتمد باراك سياسة التلاعب على المسارات. وكانت عبارات الغزل التبادلي بينه وبين الرئيس حافظ الاسد رحمه الله قد بلغت اوجها حيث وصف كل منهما الاخر بالجدية والمصداقية. وقد لعبت الولايات المتحدة دوراً هاماً في مجال احياء المسار السوري وخاصة بعد اظهار باراك جديته في الانسحاب من جنوب لبنان.

كان الموقف الفلسطيني الذي ادرك خبث سياسة التلاعب على المسارات، قد اعلن تأييده لنجاح المفاوضات على المسار السوري، واعتبر انجازها خدمة للمسار الفلسطيني، خاصة وان الموقف السوري المتصلب في تمسكه بالانسحاب الاسرائيلي الى حدود الرابع من حزيران، ومن الجولان كافة، يعزز الموقف الفلسطيني المطالب بتطبيق قرار مجلس الامن 242 بكل اجزائه، وبالانسحاب من القدس التي يشابه وضعها القانوني حالة هضبة الجولان. حيث كانت اسرائيل قد اعلنت ضم القدس الشرقية الى الكيان الصهيوني في 27حزيران عام 1967 كما اعلنت ضم الجولان في عام؟ 1981.

وجاءت قمة جنيف بين الرئيس كلينتون والرئيس الاسد؟ في محاولة لجسر الموقفين الاسرائيلي والسوري في حل وسط. وقد ادى رفض الرئيس الاسد التنازل عن موقفه بشان الانسحاب الى حدود الرابع من حزيران الى فشل القمة واغلاق ملف المسار السوري، الذي تبعه بعد اشهر وفاة الرئيس الاسد؟.

كانت العودة الى المسار الفلسطيني ضمن استراتيجية جديدة لا تقوم على الالتزام بمذكرة شرم الشيخ، وانما بالهروب الى مفاوضات القمة. وقد عطل باراك أي انجاز على مساري التفاوض الانتقالي والنهائي، حيث كانت المفاوضات بدون صلاحيات واقرب الى حوار الطرشان.

وعمد باراك الى خطة يسد فيها الطريق امام مفاوضات الوفود من اجل القمة.. فقام بفتح قناة خلفية تحت عنوان تسهيل التوصل الى اتفاقية اطار حول قضايا الوضع النهائي، بعيداً عن القناة العلنية التي كانت تجمع الاخ ياسر عبد ربه وعوديد عيران. واسندت للاخ ابو علاء مهمة استكشاف المآرب الاسرائيلية. وظهر من اللقاء الثاني في ستوكهولم ان شلومو بنعامي المكلف من باراك بالتفاوض في القناة الخلفية غير مخول بصلاحية التوصل الى اتفاق. كانت مهمته الوصول الى طريق مسدود لتصبح القمة هي الحل الوحيد والمكان الوحيد للتفاوض حول كل القضايا. وقد كانت تلميحات باراك من خلال بنعامي للاخ ابو علاء ومن خلال دنيس روس للرئيس كلينتون بان لديه الكثير مما سيقدمه للرئيس عرفات في القمة. ولكن ليس خارجها وحتى لا يؤلب عليه المعارضة.

كان الموقف الفلسطيني المتمسك بقرارات الشرعية الدولية وبنصوص الاتفاقيات والمذكرات يدرك خطورة الخدعة التي ينتهجها باراك. كان المسعى لخلق حالة تصادم في الموقف الفلسطيني مع الموقف

الامريكي يشكل عقبة كاداء امام فرصة اعلان تجسيد الدولة.. وكانت لدى باراك مجموعة من صناديق الحواة التي اعدها بعناية لكل قضية من قضايا الوضع النهائي، وفي مقدمة ذلك قضية القدس.

وعندما رضخ كلينتون لضغوط باراك، ودعا الى القمة لم يكن صدفة اختيار منتجع كامب ديفيد ليكون المكان المناسب للقمة. فهذا الاسم يحمل ذكريات ويعيد الى الاذهان مواقف وشخصيات ونتائج مسيرة لم تحقق سلاماً، ولا انهت حروباً وانما عزلت مصر لفترة عن العالم العربي وكرست التمزق واطاحت بالسادات الذي لاحقته لعنة القدس حتى النهاية.

ومع دخول القدس المعركة في كامب ديفيد كانت الجولة الحاسمة للوفد الفلسطيني. فقد شكلت القدس الترس الذي يحمي كل قضايا الوضع النهائي والانتقالي، وكانت في نفس الوقت السيف الذي احدث الاختراقات في ما كان يسمى محرمات باراك ولاءاته.. وبالقدس خرج الوفد الفلسطيني من كامب ديفيد منتصراً على المؤامرة التي اعدها باراك بالتواطؤ مع دنيس روس. وخرج كلينتون مهزوماً نتيجة خداع مبعوثه المتواطئ مع باراك، الذي اعتقد ان ما جرى مع السادات في كامب ديفيد الاولى يمكن ان يحصل مع ياسر عرفات في الثانية فالضغوط والحصار والترهيب والترغيب، كما تخيل باراك، كفيلة بارغام ياسر عرفات على قبول الحلول المطروحة.

واكتشف كلينتون في ذروة خروجه عن اللياقة، هو واركان ادارته، ان ياسر عرفات شخصاً اخر غير تلك الصورة التي نقلت اليه. وهذه الحقيقة دفعته في نهاية المطاف الى ان يقول للاخ ابو عمار: "انا لا استطيع الا ان احترم صمودك وايمانك. لقد اخطأنا تقديرك."

لقد كانت طريق كامب ديفيد مترسخة في ذهن باراك منذ البداية، فلقد اغلق كل الاتجاهات والمسارب ليجعل الوصول الى كامب ديفيد حتمياً، وليكون اعلان تجسيد الدولة الفلسطينية تكتيكاً اسرائيلياً يجعلها جسراً لعبور استراتيجية الهيمنة الاسرائيلية الصهيونية الى العالم العربي. ولفهم هذه السياسة لابد من توضيح القضايا التالية:

1. حقيقة موقف باراك من عملية السلام.
2. سياسة الدمج بين قضايا المرحلة الانتقالية وقضايا الوضع النهائي.
3. سياسة التلاعب على المسارات.
4. الطريق الى كامب ديفيد.
5. القدس في المعركة.
6. الدولة بين الجسر والسد.

اولا: حقيقة موقف باراك من عملية السلام

على الرغم من الحظر المفروض على العسكريين الاسرائيليين بشأن التدخل في الشؤون السياسية، الا ان مجريات الامور في المفاوضات التي كان يشرف عليها شمعون بيريز كانت مقلقة لباراك واركان حربه في الجيش الاسرائيلي، وقد بلغت ذروة الامتعاض والقلق عندما ظهر على شاشات التلفزيون ذلك اللقاء

بين الاخ ابو عمار وبيريز في دافوس. كان منظر ياسر عرفات وهو يمسك بيد بيريز وصوت الاخير وهو يدفع الاخ ابو عمار امامه وهو يرد بعدك... بعدك، After You - After You. ومع ظهور امكانية التوصل إلى اتفاق حول المعابر والانسحاب من قطاع غزة ومنطقة اريحا، تحرك ايهود باراك، رئيس الاركان ليقول لرابين (الآن كفى... ان الجيش لم يعد يوافق على ما تقومون به، وسيعلن موقفه هذا ان بيريز قد قدم كثير من التنازلات) (1).

كان باراك يدرك انه يتدخل خارج صلاحياته. فقد كانت اجابته لمراسل جريدة دافار (في 15/9/1993) الذي قاله له (ان الانطباع هو انك ترى في الاتفاق مخاطر اكثر من الفرص) كان باراك يرد، (هذا انطباع مغلوط. فبسبب كوني ارتدي البزة العسكرية يحظر علي تماما التطرق إلى الجانب السياسي) (2).

لكن الحقيقة ان باراك وقادة الجيش واجهزة الامن الاسرائيلية، كانوا في حالة استياء عندما فوجئوا باتفاق اوسلو دون معرفتهم أو مشاورتهم، وقد عبر عن ذلك زئيف شيف إلى جريدة هآرتس 3/9/93 بقوله "يتذمر رؤساء الجهاز الامني اساسا لان احدا لم يكلف نفسه عناء استشارة أي منهم. حتى في اللحظة الاخيرة قبل الموافقة على الاتفاق. وهذا هو الوضع على امتداد هذه الجبهة، بدءا بالسكرتير العسكري لرئيس الحكومة، وانتهاء برئيس الاركان وباقي قادة الاجهزة الامنية" (3).

لقد وجد ايهود باراك الفرصة المواتية للانقضاض على العملية السياسية من بوابة الامن. فنشر اركانه في اطراف عملية التفاوض بحيث اغلق الطريق امام أي امكانية للتقدم في طابا. وقد نجح في فرض السد امام موعد الحد الاعلى لتوقيع اتفاقية الانسحاب من قطاع غزة ومنطقة اريحا في الثالث عشر من شهر ديسمبر/كانون اول 1993 ولم يعد للجدول الزمني الذي نص عليه اتفاق اعلان المبادئ اية قدسية لدى رابين. وبدأت تعقيدات الجيش تأخذ مداها في الطروحات حول مفهوم الانسحاب من قطاع غزة، وطبيعة قراءة الجيش الاسرائيلي ورئيس اركانه لاتفاق اعلان المبادئ. وقد عبر ايهود باراك، رئيس الاركان آنذاك عن تلك القراءة برده لسؤال مراسل جريدة دافار (ماذا سيحدث عندما تخرج من غزة؟، بقوله "هذا الاتفاق لا يتضمن خروجا من غزة، انه يتضمن انتشارا جديدا للجيش الاسرائيلي داخل قطاع غزة للقيام بعدد من المهمات للدفاع عن الحدود في وجه تهديدات خارجية لضمان امن المستوطنات، ولضمان امن النشاط الاسرائيلي، والحركة الاسرائيلية في أي مكان سيرغب الاسرائيليون فيه أو سينقلون فيه. وهذا الامر يستوجب انتشارا خارج مناطق المدن من اجل تقليص الاحتكاك. وتمكين الشرطة الفلسطينية من القيام بدورها. ولها دور مهم للغاية، فالاتفاق يقوم على اساس افتراض قوي جدا، بان الشرطة الفلسطينية ستكون فاعلة. وسنعمل من اجل وحدة الهدف حتى اذا لم يكن ثمة تعاون فعلي على الارض) (4).

هكذا فهم رئيس الاركان الاسرائيلي اتفاق اعلان المبادئ. وهكذا كانت توجيهاته لاتباعه في الوفد الاسرائيلي المفاوض. ففي الوقت الذي كان الوفد الفلسطيني ينطلق من قراءة منطقية، تقوم على اساس الفهم القانوني لاتفاقية اعلان المبادئ، في ظل التغيير الذي طرأ، نتيجة اعتراف الحكومة الاسرائيلية بمنظمة التحرير الفلسطينية، ممثلا للشعب الفلسطيني، كان الجيش الاسرائيلي يتصرف معلنا عن عدم اعترافه بالمنظمة، و بأي تغير في مفهوم نصوص اتفاق اوسلو نتيجة الاعتراف المتبادل. لقد عبر السياسيون الاسرائيليون، في غالبيتهم، وفي مقدمتهم وزير الخارجية شمعون بيريز، عن فهمهم لمعنى

الاعتراف بالمنظمة، فبادر بيريز باعطاء تعليماته لسفرائه ولمندوبه في الامم المتحدة، باجراء اتصالات مع سفراء دولة فلسطين ومدراء مكاتب المنظمة ومندوبها المراقب في الامم المتحدة تعبيرا عن هذا الفهم. اما رابين فوجد نفسه بين نارين نار السياسي، رئيس الحكومة، وعلاقته مع وزير خارجيته بيريز، ونار العسكري، وزير الدفاع قائد الجيش وعلاقته برئيس اركانه باراك. وهو بهذا يعمد إلى التصريحات المتكررة حول عدم قدسية المواعيد طمعا في ان يكسب المزيد من الوقت، ليحقق المزيد من التنازلات التي يجد الطرف الفلسطيني، ان لا محالة من تقديمها، بسبب انعدام الخيارات الاخرى لدى منظمة التحرير الفلسطينية، كما يعتقد الاسرائيليون.

في خضم هذه المعادلة المعقدة، جاءت اتفاقية القاهرة غير مطابقة لتفسير رابين ورئيس اركانه، ولا منسجمة باي حال مع التوجه الذي اقرته اللجنة التنفيذية، حول المعابر وحريتها واداواتها، وحول مفهوم الانسحاب من قطاع غزة ومنطقة اريحا. حيث ان استكمال هذه الاتفاقية ووضعها موضع التنفيذ، يتطلب الاتفاق على كثير من البنود العالقة، والتي اشير إلى ضرورة بحثها في مفاوضات طابا، وفي مقدمتها موضوع الشرطة الفلسطينية وحجمها وتنظيمها وتشكيلها وتسليحها وطبيعة مهماتها وانتشارها، وكل ما يتعلق بمستقبل وجودها، باعتبارافرادها جزءا لا يتجزأ من مواطني السلطة الوطنية الفلسطينية.

ان الفهم الاسرائيلي لدور الشرطة الفلسطينية يختلف عن الفهم الفلسطيني، وهو ما جرى تأكيده في المفاوضات. بحيث يكون الاساس في المهمة هو خدمة الشعب وحماية المجتمع والسهر على حفظ الامن والنظام العام، على ان تؤدي قوات الامن والشرطة الفلسطينية مهماتها في الحدود التي رسمها القانون في الاحترام الكامل للحقوق والحريات دون تمييز أو تحيز، فبهذه الطريقة وعلى هذا الاساس في تأدية المهمة، يمكن ضمان التعاون الجماهيري والشعبي مع الشرطة ومساعدتها في اداء واجباتها.

لقد كان باراك يتمتع بنقطة قوة خلال مرحلة التفاوض، فهو لم يكن مهتما بانجاح اتفاق اعلان المبادئ. ولم يكن يرى ان ذلك امر حتمي، ولذلك كان يحاول اتخاذ كل اجراءات الحذر، وقد عبر باراك عن موقفه تجاه تنفيذ الاتفاق إلى جريدة دافار في 15/9/1993، أي بعد يومين من توقيع اعلان المبادئ في ساحة البيت الابيض بقوله (نحن لن نخرج من قطاع غزة، وسنكون في أي مكان نعتقد انه من الضروري ان نكون فيه من اجل القيام بمهماتنا. التنفيذ وانا لا اتوقع حتمية ذلك، وانما اشير إلى امكانيته فحسب سوف يكون صعبا ومعقدا. هذه هي الحقيقة وينبغي قولها) (5).

هذه هي حقيقة موقف ايهود باراك من اتفاق اعلان المبادئ ومن مسيرة السلام منذ ان كان رئيسا للاركان.

وبعد انتهاء مهمته في رئاسة الاركان والتحاقه بحزب العمل، تم تعيينه وزيرا للداخلية في حكومة رابين.

وفي الكتاب الذي اعده الصحفيان الاسرائيليان بن كسيفت وايلان كفير بعنوان ايهود باراك- الجندي رقم واحد جاء نصه (كان القرار السياسي الاول الذي كان من المفترض على باراك اتخاذه كوزير في حكومة اسرائيل، كان تجاه الاتصالات حول اوسلو ب، خلال المرحلة النهائية لمباحثات اوسلو ب، حيث اقترح اسحق رابين وشمعون بيريز على الحكومة التصويت على اقتراح (تنفيذ النبضات) والتي في

اطارها يعيد الجيش الاسرائيلي الانتشار من جديد بحيث يتم اخلاء كافة القوات من غالبية مناطق الضفة الغربية حتى بداية المفاوضات حول الوضع النهائي بين الاطراف. باراك وبشكل مخالف لغالبية الوزراء كان خبيرا في التفاصيل ابان ترؤسه لهيئة الاركان في فترة المفاوضات، الا انه لم يوافق. وقد عرف بانه لا يستطيع التصويت على هذا القرار. اللقاء بين باراك وشمعون بيريز تم في بيت وزير الخارجية حيث قال باراك "لا استطيع التصويت لصالح اعادة الانتشار" بيريز اظهر رباطة جأش وتطور بين الاثنين نقاش قاسي.

باراك من جهة اخرى لم يخف آراءه في الاجتماعات المغلقة التي تمت في المجلس الامني وصرح ضد طريقة اعادة الانتشار السريعة، وقد اعتبر بان تسليم غالبية مناطق الضفة الغربية للفلسطينيين خلال سنة ونصف، ذلك قبل المباحثات حول القضايا الحقيقية الصعبة (القدس، حق العودة، الحدود النهائية الخ) بمثابة خطأ تكتيكي خطير.

وقال باراك "مناطق الضفة الغربية هي ورقة المقايضة الاكثر قيمة لاسرائيل" ، "ونحن نتنازل عن هذه الورقة قبل ان تبدأ اللعبة الحقيقية" وقد اقترح بزيادة فترة الاطار الزمني لتنفيذ الانسحابات حتى انتهاء المباحثات حول الوضع النهائي، أو على العكس بحيث يتم تقديم موضوع الحل النهائي. وخلال المفاوضات يتم تنفيذ الانسحابات وليس وقتا طويلا قبل ذلك.

باراك لخص خطابه في النقاش الذي جرى داخل الحكومة "سمعت لاقوال الوزراء وانا متفهم للروح السائدة لكنني لا استطيع التصويت لصالح هذه العملية" وعلى الرغم من تسلمه رسالتين من الوزير ميخا حريش الوزير وبايغا شوحط وفيها "لا تصوت مع ولا تمتنع عن التصويت، انت ترتكب خطأ فادحا".

عند التصويت امتنع باراك عن المشاركة بالاضافة إلى شمعون شطريت اما باقي الوزراء فقد صوتوا لصالح اعادة الانتشار) (6).

بعد اغتيال رابين، تم تعيين باراك وزيرا للخارجية في حكومة شمعون بيريز. ومع سقوط بيريز في الانتخابات في مواجهة نتنياهو اصبح باراك رئيسا لحزب العمل.

في برنامجه الانتخابي لموقع رئيس الوزراء في مواجهة نتنياهو حدد باراك الخطوط العريضة لبرنامجه الانتخابي مدركا الخطأ الذي ارتكبه نتنياهو في سياسته تجاه الولايات المتحدة ومصالحها في المنطقة. كان يلتقي مع نتنياهو في الموقف من قضايا الوضع النهائي. ولكنه كان يرى ان عليه استخدام لغة مختلفة من شأنها ان تتحدث عن السلام، والثقة والشراكة، وان تمارس على الارض ما ينسجم مع الاستراتيجية الصهيونية.

في تركيزه على وحدة الشعب الاسرائيلي تحت شعار اسرائيل واحدة تحدث عن السلام.. وعن استعداده لمتابعة طريق اسحق رابين واعادة تجديد مسيرة السلام على قاعدة اتفاقيات اوسلو.. وفي مجال تركيزه على السلام ومحاربة الارهاب، حدد موقفه الواضح من القضايا الاكثر اهمية واولها القدس حيث اكد انه سيقاتل من اجل وحدة القدس. وان القدس الموحدة هي العاصمة الابدية لاسرائيل. وانها غير قابلة للمساومة أو التفاوض عليها. اما الحدود فهو يؤكد (نحن لن نعود إلى حدود 1967 تحت أي ظرف. ولن نساوم على امن اسرائيل ومواطنيها. واية ترتيبات نقوم بها ستشترط الحدود الآمنة وقدرتنا

على حماية بلدنا وشعبنا. وفي أي ترتيبات يتم التوصل اليها فان معظم المستوطنين سيبقون في مستوطناتهم في مناطق تحت السيطرة الاسرائيلية) (7).

اما بالنسبة للدولة الفلسطينية فيؤكد باراك انه (لن يوافق على اقامة دولة فلسطينية من جانب واحد. وقبل التوصل إلى التوقيع على الاتفاقية النهائية) (8) . ويؤكد ان الدولة الفلسطينية ليست ولن تكون هدفا اسرائيليا، ومع ذلك فان توصل المفاوضات النهائية إلى نتيجة قيام دولة فلسطين فان علينا ان نتأكد ان الامن والمحاذير السياسية المتفق عليها تعكس المصالح الاسرائيلية.

ونتيجة لهذه المواقف المعلنة في البرنامج الانتخابي فان لاءاته التي انطلقت مباشرة بعد اعلان نجاحه لم تكن مفاجئة لاحد.

مع بداية حكمه، حاول باراك ابعاد كل الاطراف الرئيسية التي لعبت ادوارا في المفاوضات خلال مرحلة الهجوم الدبلوماسي الفلسطيني في عهد حكومة نتنياهو.. كان يريد ابعاد الولايات المتحدة، والدول الاوروبية ومصر. وكان يهدف بذلك إلى الاستفراد بالطرف الفلسطيني بعيدا عن رعاة عملية السلام الاقليميين والدوليين. وكان يعتقد ان ذلك يقلل من امكانية الضغوط عليه. وقد استبدل شعار نتنياهو "التبادلية" بشعار "التوافقية". وقد بدأ تفسير هذا الشعار بتطبيقه على مذكرة نهر الواي حيث طالب ان يكون تنفيذ المذكرة بالتوازي مع مفاوضات الحل النهائي. واضافة إلى ذلك فانه اراد ايضا ان يسير في مسارات التسوية بالتوازي بحيث لا يكون تقدم أي مسار على حساب المسار الآخر.

وفي واشنطن، قال باراك للامريكيين انه يريد ان يكون وياسر عرفات شركاء في عملية السلام، وانه يفضل التفاوض المباشر مع الفلسطينيين لتحقيق هذا الغرض بدون وسيط. وقال انه يرى (ان هنالك بعض الهفوات الامنية في اتفاقية واي ريفر وهي ليست لصالح الطرفين الاسرائيلي والفلسطيني. وقال للامريكيين انه يعتقد بان تنفيذ الاتفاق يجب ان يكون جماعيا وهو يشك ان باستطاعة الفلسطينيين تحمل امكانات تطبيق الشق الامني من الاتفاق.

وقد استطاع باراك اقناع كلينتون بان اقتراحه بشأن اجراء تعديلات في مذكرة الواي هو لصالح الفلسطينيين والاسرائيليين على حد سواء. وطالب الاخ ابو عمار في مكالمة هاتفية ان يستجيب لطلب باراك عند الالتقاء به (حيث يعتقد ان الاراضي التي اقترحت عليكم في مذكرة نهر الواي ليست لصالحكم وسيعرض عليكم شيئا جديدا). ومع ذلك يؤكد الرئيس كلينتون للاخ ابو عمار (بأنكم اذا اصررتم على تنفيذ الواي كما هي فمن حقكم طلب ذلك ونحن سندعمكم تماما في موقفكم) (9).

كانت خطة باراك تتركز في تقليص الهوة التي تفصل بين الحل الانتقالي والحل النهائي، وهو بذلك يحقق عملية الدمج التي يستطيع من خلالها استخدام استحقاقات قضايا الوضع الانتقالي للمساومة على قضايا الوضع النهائي.. وكانت استراتيجية الفصل بين الحل النهائي والانتقالي تخدم المصلحة الفلسطينية بحيث تكون اوراق للمساومة مع الطرف الفلسطيني وليس مع الطرف الاسرائيلي. وقد نجح باراك في خلخلة الموقف إلى حد ما عندما فرض اتفاقية جديدة في شرم الشيخ تتجاوز مذكرة نهر الواي، وتربط بين اتفاقية الاطار لقضايا الوضع النهائي وقضية انسحاب المرحلة الثالثة، التي تشكل جوهر الارض في اتفاقيات اوسلو جميعها.

فمفهوم الاطار حول مبادئ الحل النهائي يتجاوز مرجعية اوسلو ويفرض مرجعية جديدة. وكان التوصل إلى اتفاق اطار خلال مدة زمنية محددة هو ابرز المكاسب التي حاول باراك تحقيقها، وذلك بهدف اغلاق استراتيجية اوسلو التدريجية والانتقال مباشرة إلى التفاوض على الصيغة النهائية ككل. وفي محاولة لسد الطريق على الدمج الذي سعى باراك من خلاله إلى الغاء المرحلة الثالثة من اعادة الانتشار، فقد تم تثبيت هذه المرحلة بصيغة الالزام وباوضح مما ينص عليه اتفاق واي، حيث ذكرت في اتفاق شرم الشيخ ان لجنة المرحلة الثالثة من اعادات الانتشار ستبدأ اعمالها بما لا يتعدى يوم العاشر من ايلول 1999 (10).

وقد تجاوز باراك التاريخ. ومرت سنة كاملة دون ان يحقق اي تقدم بشأن المرحلة الثالثة التي فرض باراك اندماجها بالممارسة. واصبحت عمليا خلف قضايا الوضع النهائي التي جرى بحثها في كامب ديفيد، وخاصة قضية القدس التي كشفت حقيقة موقف باراك من عملية السلام عندما فتح قمقم المارد الديني في الحرم القدسي الشريف مهددا المنطقة بصراع ديني لا يعلم مداه غير الله سبحانه وتعالى.

ثانيا: سياسة الدمج بين قضايا المرحلة الانتقالية وقضايا الوضع النهائي

في اللقاء الثاني الذي جمع بين الاخ ابو عمار وباراك عرض الاخير اجراء تعديلات على اتفاقية نهر الواي مؤكدا ان هذه التعديلات هي لصالح الطرف الفلسطيني. وقد رد عليه الاخ ابو عمار في حينه، شكرا.. نحن نعرف مصلحتنا ونحن نتمسك بالاتفاق وما نريده هو التطبيق الدقيق والامين للاتفاقيات الموقعة دون تأجيل أو تعطيل.

وبوقاحة اصر باراك على موقفه واعطى مهلة اسبوعية للتفكير في التعديلات: وقد ادى هذا الموقف إلى مضاعفة عدم الثقة التي بدأت تشق طريقها بقوة بينه وبين الاخ ابو عمار الذي كان يدرك جيدا (الموقف الحقيقي لباراك من عملية السلام منذ ان خاض معركة تعطيل) (11).

اتفاق اوسلو(2)، عندما كان رئيسا لاركان الجيش الاسرائيلي.. وقد عزز هذا الشعور ما طرحه بارك على الاخ ابو عمار بصراحة ووضوح في لقائهما الثاني بعد ان اصبح رئيسا للوزراء حيث تساءل باراك. (لماذا يتوجب ان تعاني ثلاث حكومات في اسرائيل بصورة متعاقبة لاخراج المولود، فيما يمكن التوصل إلى لاتفاق على الصفقة ككل. بدل المرور في تطبيق المرحلة الانتقالية والاختلاف على كيف نطبق اتفاقيات جزئية(12).

ان موقف باراك هذا ينسجم مع تصويته عندما كان وزيرا في حكومة رابين ضد اعادات الانتشار الثلاث التي تضمنها اتفاق المرحلة (اوسلو 2) والتي نصت على ان يتم ذلك خلال سنة ونصف بعد تنصيب المجلس التشريعي. الذي تم في آذار 1996 وقد حصلت سلسلة من التراجعات. حول تطبيق اعادات الانتشار الثلاث التي كان الفهم الفلسطيني لها انها ستشمل جميع الاراضي الواقعة تحت السيطرة الاسرائيلية والمسماة (C) على ثلاث مراحل تفصل كل مرحلة عن الاخرى ستة اشهر، وتستثني المناطق الخاصة بقضايا الوضع النهائي، وهي القدس، المستوطنات، الحدود والمواقع العسكرية المحددة. والتي تصل مجموع مساحتها بما لا يتجاوز 10 % بحيث يتم دخول التفاوض حول قضايا الوضع النهائي.

والسلطة الوطنية الفلسطينية تسيطر على 90 % من الاراضي المحتلة عام 1967.
لم يكن المفهوم الاسرائيلي لاعادات الانتشار والانسحاب يتطابق باي حال من الاحوال مع المفهوم الفلسطيني. وكما عبر باراك في تصريحاته لصحيفة دافار ان الانسحاب من قطاع غزة لا يحول دون دخول الاسرائيليين مدنيين وعسكريين إلى داخل القطاع، كما نص على ذلك اعلان المبادئ تحت عنوان النقاط المتفق عليها.

ان تفسير باراك والمفاوضين الاسرائيليين للانسحاب ولاعادات الانتشار بدأ يتخذ شكلا جديدا عندما ادركوا ان الانسحاب من غزة واريحا يعني عدم امكانية الدخول بحرية إلى هذه المناطق. وان استلام السلطة الوطنية وسيطرتها على 90 % من اراضي الضفة والقطاع يعني السيطرة بشكل كامل، ومن موقع القوة، على مفاوضات الوضع النهائي. ولذلك حرصت الحكومات في عهد نتنياهو وتبعه باراك في اللجوء إلى سياسة المصفقة والدخول مباشرة في مفاوضات الوضع النهائي حتى لا تمتلك السلطة اوراق السيطرة على الارض.

لقد بدأ التحول من المفهوم الفلسطيني لاعادات الانتشار ومراحله الثلاث بعد التوقيع على بروتوكول الخليل. حيث اعتمد الاسرائيليون على رسالة وزير الخارجية الامريكي كريستوفر التي تعطيهم الحق بتحديد مساحة اعادات الانتشار وحدهم. ويعتمد باراك واركانه على ما تحتويه الاتفاقيات من غموض في النصوص بحيث يتم التفسير بما ينسجم مع المصلحة الاسرائيلية. فموضوع المرحلة الثالثة لاعادة الانتشار لم ينص اعلان المبادئ ولا اتفاقية المرحلة الانتقالية على مساحة الارض التي تتحول من خلالها إلى نطاق الولاية الفلسطينية. وبالنسبة للمرحلة الاولى والثانية من اعادات الانتشار لم يتحدد بها نصا أي مساحة محددة، ويعتمد الاسرائيليون على نصوص الاتفاقيات في مفاوضاتهم متكئين على الغموض (المدمر) الذي تحتويه النصوص بما في ذلك (ال) التعريف التي جعلت تفسيرات القرار (242) حول الارض و (ارض) تعاني ولا تزال من تفسيرات متضاربة.

فالمادة (X1.2) تنص
(يوافق الطرفان على ان منطقة السلطة الوطنية وقطاع غزة، باستثناء القضايا التي سيتم التفاوض عليها في مفاوضات الوضع الدائم ستصبح تحت نطاق الولاية الفلسطينية من خلال مراحل تستكمل خلال 18 شهرا من موعد تنصيب المجلس..) (13).

وبالتركيز على النص (منطقة الضفة الغربية وقطاع غزة) (West bank and Gaza Strip territory) يبرزون الاهمية العظمى ل (ال) التعريف الغائبة بقصد وبهدف ترك الاحتمال مفتوحا بابقاء مساحات من الضفة الغربية إلى جانب تلك المتعلقة بقضايا مفاوضات الوضع النهائي لن تدخل تحت نطاق الولاية الفلسطينية. فلو كان النص The territory of the West bank and the Gaza strip فانها تعني جميع المنطقة وليس اجزاء منها. ولتأكيد تفسيرهم فانهم يشيرون إلى اتفاقية غزة واريحا التي تنص على (الانسحاب من قطاع غزة ومنطقة اريحا) على الشكل التالي:

Withdrawal from the Gaza strip and Jericho area

وتشير إلى انه (إلى جانب قضايا الوضع النهائي، فان الاتفاقية الانتقالية تشير إلى مساحات اضافية لن يتم فيها اعادة الانتشار، المادة (8) X111.2.b تعرف الاستثناءات لاعادات الانتشار على الشكل التالي).

باستثناء قضايا المفاوضات حول الوضع النهائي ومسؤولية اسرائيل الكاملة عن الاسرائيليين والحدود. وهذا يعني انه ليس فقط الاراضي المتعلقة بقضايا مفاوضات الوضع النهائي لن يتم تسليمها وانما يضاف اليها المساحات اللازمة لممارسة اسرائيل كامل صلاحياتها على الاسرائيليين والحدود.

بهذه المفاهيم يناقش الاسرائيليون وفي، مقدمتهم رئيس الوزراء الاسرائيلي باراك مفهوم المرحلة الثالثة. ويطالبون باندماجها في قضايا الوضع النهائي بشكل عام. ويرددون في حالة اصرار الطرف الفلسطيني على تنفيذها انها كما قال شارون تكون 1 % من اراضي الضفة الغربية.

وحين يتمسك باراك باجراء عملية قيصرية لاخراج المولود مرة واحدة، يغيب عن ذهنه انه يخالف سنة الحياة فيما يتعلق بمدة الحمل الضرورية والطبيعية للمولود وهي سبعة اشهر على الاقل.. وتسعة اشهر على الاكثر.. وهو اذ يدرك ان الحمل الذي افرز جنين السلام بعد المصافحة التاريخية في ساحة البيت الابيض بين الاخ ابو عمار ورابين، قد تجاوز المدى المحدد له وهو خمسة سنوات، فان الجنين قد تم قتله على يد الحكومات الاسرائيلية الثلاث التي حرصت على عدم الالتزام بتنفيذ الاتفاقيات.. وهو حين يصر على الدمج انما يهدف إلى نسف الاتفاقيات الموقعة جميعها. والغاء فلسفة اوسلو التي تقتضي التوصل إلى الحل النهائي بعد تنفيذ المرحلة الانتقالية بكاملها.

لقد استطاع باراك باصراره على فرض آرائه وتعطيله للمفاوضات حول قضايا الوضع النهائي، وقضايا الوضع الانتقالي إن يجر الفريق الفلسطيني والامريكي إلى كامب ديفيد عبر طريق صعبة مليئة بالاشواك والعقبات.. ولا تؤدي إلى هدف السلام. ولذلك باءت تلك الخطوة المغامرة بالفشل الذريع.

ثالثا: سياسة التلاعب على المسارات

مع وصول باراك إلى الحكم في الكيان الصهيوني، انهالت عليه المدائح من الرئيس السوري الراحل حافظ الاسد رحمه الله. فقد وصفه بالزعيم القوي والصادق. وقد استجاب باراك لهذا المديح برد التحية بمثلها. وبدأت بوادر انقشاع غيوم مرحلة نتنياهو التي عطلت المفاوضات على المسار السوري بشكل كامل، تخللته احيانا بعض الرسائل وتدخل الوسطاء، ولكن في الخفاء. وبدأت رموز العلاقات السورية الاسرائيلية من الامريكان تتحرك من هنا إلى هناك. فظهر على الخارطة ادوار جيرجيان سفير الولايات المتحدة السابق في سوريا، وباتريك سيل، الصحفي البريطاني وكاتب سيرة الرئيس الاسد. وغيرهم من رجال الاعمال والوسطاء. وحاول الرئيس الاسد توظيف علاقاته واتصالاته مع روسيا والاوروبيين بهدف تشجيع اسرائيل للتحرك باتجاه العودة للتفاوض واحياء المسار السوري.

لمن تكن هذه التوجهات تزعج القيادة الفلسطينية خاصة وانها من موقعها القوي كانت تنادي بوحدة الموقف العربي، وبضرورة تلازم المسارات والتنسيق العربي. وقد بادرت منظمة التحرير الفلسطينية إلى الدعوة لعقد قمة عربية، أو على الاقل قمة خماسية لدول الطوق المعنية مباشرة بمسيرة التسوية، بحيث تضم مصر وسوريا والاردن ولبنان وفلسطين. وكان الرد السوري هو التجاهل الذي اقترن بالتنصل من الدور القومي، لدرجة ابلاغ الفصائل الفلسطينية المعارضة المتواجدة في سوريا بالتخلي عن فكرة الكفاح

المسلح، وبالتحول إلى مؤسسات اجتماعية ومنظمات غير حكومية، حيث قال عبد الحليم خدام لقادة الفصائل في دمشق. (سوريا ذاهبة إلى عقد اتفاق سلام مع اسرائيل في غضون ثلاثة شهور، وعليكم التحول إلى احزاب سياسية اهلية) (14).

ولكسر امكانية الامل في التقارب والتنسيق الفلسطيني السوري كلف وزير الدفاع مصطفى طلاس بشن حملة ضد الاخ ابو عمار بطريقة بذيئة ونابيه، فهم من خلالها ان سوريا تتوجه بثقلها نحو اسرائيل، وحسب مقولة الشرع القديمة حول كون القضية الفلسطينية هي عبء عليهم، فقد طالب كل طرف عربي ان يقوم بقلع شوكه بيديه. وبدا واضحا ان الرئيس الاسد يرى أن الاقلاع بالحل مع الاسرائيليين يصبح اسهل كثيرا اذا ما هو تخلى عن التزامه القومي بالقضية الفلسطينية.

هذا الموقف السوري قدم لباراك خدمة وهو يتنصل من اتفاق نهر الواي. مما جعل القيادة الفلسطينية تسارع الى القبول بعقد قمة شرم الشيخ التي كانت بداية اللعب الاسرائيلي على حبال المفاوضات.

كان باراك يدرك انه في شرم الشيخ قد وقع على مذكرة لا ينوي الالتزام بها. على الرغم من انه اعطى تعهدا للامريكان تم نقله إلى القيادة الفلسطينية بانه سيلتزم بتنفيذ المرحلة الثالثة من اعادات الانتشار سواء تم الاتفاق على الاطار أو لم يتم..

وقد اصبح واضحا لدى القيادة الفلسطينية ان حديث باراك عن السير في جميع المسارات بصورة متوازية ومتوازنة، اضافة إلى استعداده للانسحاب من لبنان خلال خمسة عشرة شهرا، سواء تم التوصل إلى اتفاق أو لم يتم، فانه كان يمارس بذلك ضغطا على سوريا، حيث ان انسحاب الجيش الاسرائيلي من لبنان سيفتح ملف انسحاب الجيش السوري منه ايضا.
كان المسار السوري يعني بالنسبة لباراك اكثر من مجرد اداة استفراد وضغط على المسار الفلسطيني. فهي بالنسبة له، كما كانت بالنسبة لرابين قبله هدفا مهما في حد ذاته.حيث يعتقد الاسرائيليون ان الحل على الجبهة السورية الاسرائيلية سيقلل من الثمن الذي يمكن دفعه من اسرائيل للحل على الجبهة الفلسطينية. واكثر من ذلك خطورة، هو ان الحل على الجبهة السورية الذي يغلق ايضا الجبهة اللبنانية يكمل دائرة الحدود بين اسرائيل وجميع الدول العربية المجاورة لها. وبهذا تصبح القضية الفلسطينية اقليميا تقع ضمن حدود اسرائيل (الامر الواقع) مع الدول العربية وهو الامر الذي يجعل الوضع النهائي قريبا من تصريحات رابين السابقة المباشرة بعد اتفاق اوسلو. وهو كيان اقل من دولة واكثر من حكم ذاتي.

كان واضحا لباراك ان الطرف الفلسطيني لن يتوصل معه إلى اتفاقية اطار قبل تنفيذ جميع قضايا المرحلة الانتقالية العالقة وفي مقدمتها موضوع المرحلة الثالثة لاعادات الانتشار، والافراج عن جميع الاسرى المعتقلين دون قيد أو شرط. وقد دفع هذا التوجه الواضح باراك إلى بداية استخدامه للمسار السوري تكتيكيا واستراتيجيا بحيث تخلق حالة التفاصيل التي تعطيه القدرة على القفز من مسار للضغط على المسار الآخر. وجاء اعلان الرئيس كلينتون بعودة المفاوضات بين سوريا واسرائيل في 8/12/1999، وكانت على مستوى سياسي عالي يشارك فيه رئيس الوزراء الاسرائيلي باراك وفاروق الشرع وزير الخارجية السوري ممثلا للرئيس حافظ الاسد. وباشراف الرئيس كلينتون نفسه.

بهذا الاعلان انتقلت الاضواء نحو شيبردزتاون، حيث المسار السوري الاسرائيلي الذي كشف عن

سلسلة من الاتفاقات المتكتمة، التي ادت إلى احداث الشرخ بالاتفاق على شروط عودة المفاوضات، والتي اهمها بالنسبة لسوريا كان العودة للبدء من حيث انتهت المفاوضات السابقة، والتي تشمل ما يسمى بوديعة رابين لدى الولايات المتحدة.

كانت دوافع كلينتون لدعم انجاح المسار السوري هامة جدا. فالعلاقات الامريكية السورية اصبحت بعد العدوان الامريكي الاوروبي والعربي الثلاثيني على بغداد علاقة متميزة بسبب مشاركة سوريا في تحالف العدوان على العراق. وكان كلينتون يرغب في ان يكون الانجاز على المسار السوري يشكل دعما للمسار الفلسطيني، بحيث يحقق في المدى الزمني المتبقي لولايته ما يساهم بتحقيق انجاز في عملية السلام، يخلد اسمه كصانع سلام ويلغي من سجله تلك البقع السوداء التي تركتها مسيرته الشخصية. وكانت الحالة الصحية للرئيس الاسد تغري الادارة الامريكية في امكانية الحصول من الاسد على التنازلات التي تساعده في تثبيت ابنه بشار خليفة له قبل وفاته.

كان رد الفعل الفلسطيني الظاهري والذي تم التصريح عنه من المستويات المسؤولة جميعها يعبر عن الترحيب بنجاح أي مسار عربي. فمن حيث المبدأ عبرت القيادة الفلسطينية على لسان الاخ ابو عمار في كثير من المناسبات عن ضرورة تفعيل المسارين اللبناني والسوري، انطلاقا من ان اي انسحاب من الاراضي العربية المحتلة هو مكسب ومصلحة قومية.

وقد كان الموقف الذي عبرت عنه حركة فتح في نشرتها المركزية في 15/1/2000 تحت عنوان، المسارات التفاوضية بين التفاضل الاسرائيلي والتكامل العربي، تنطلق من ان تحقيق الانسحاب الاسرائيلي، المدني والعسكري، من الجولان حسب الشروط التي يطلبها الرئيس حافظ الاسد هو امر ليس فقط مرحب به، وانما هو يقدم خدمة كبرى للمسار الفلسطيني. وخاصة ما يتعلق بقضايا الوضع النهائي. وجاء في نشرة فتح ما نصه (القضايا المستعصية على المسار الفلسطيني هي قضايا الوضع النهائي، وهي تشكل تكاملا واضحا مع قضايا الوضع النهائي على المسار السوري.

فقضية الحدود هي عنوان اساسي في اتفاقية الاطار المطلوب التوصل اليها على المسار الفلسطيني الاسرائيلي، في حين هي اكثر تحديدا على المسار السوري الاسرائيلي لدرجة اصبح عنوان الانسحاب إلى حدود الرابع من حزيران هو مفتاح عودة السوريين إلى طاولة المفاوضات. وهذا الانطلاق فيما يتعلق بالحدود يشكل اولوية هامة على المسار الاسرائيلي. فالمقولة الصهيونية بالاعتراف بالقرار 242 وتطبيقه تنطلق من تفسيرات متضاربة لنصه الذي لا يوافق على اكتساب الارض بالقوة، ثم ينص على انسحاب من (اراض) وليس (الاراضي) وتلعب (ال) التعريف وغيابها دورا في احداث الغموض المدمر حول التزام اسرائيل بالقرار بشكل مختلف على الجبهات المختلفة: فالمسار المصري غير السوري، والمسار الاردني غير الفلسطيني.. فقضية الحدود التي تطالب امريكا واسرائيل بتعريفها بالحدود المعترف بها، وليست بحدود ما قبل الرابع من حزيران، كما ينص قرار مجلس الامن 242، وكذلك قرار 338، ومبدأ الارض مقابل السلام، وهو الامر الذي تم تحديده في التعديل السوري لوثيقة العمل الامريكية فجاء النص كما يلي:

المادة (1) اقامة السلام وترسيخ الحدود

1. تنتهي حالة الحرب بين سوريا واسرائيل. ويقوم السلام بينهما بعد دخول هذا الاتفاق حيز التنفيذ.. ويحافظ الطرفان على علاقات سلم عادية كما هي موضحة في المادة (2) من هذا الاتفاق.

2. الحدود الدولية المعترف بها والآمنة بين سوريا و (اسرائيل) هي الحدود المبينة في المادة الثانية ادناه. خط الحدود الدائم الذي تم الاتفاق على ترسيمه بين الدولتين هو خط الرابع من يونيو/حزيران 1967 وتسحب اسرائيل جميع قواتها العسكرية ومدنييها خلف هذه الحدود وفق الملحق ( ) من هذا الاتفاق. ويمارس كل طرف حقه الكامل بالسيادة على جانبه من خط الحدود الدولية كما هو متفق عليه في هذا الاتفاق.

في المادة الاولى اعلاه وما يتبعها من مواد ونصوص تعطي مؤشرا لقضايا الوضع النهائي. المطروحة على المسار الفلسطيني الاسرائيلي. فانطلاقا من ضرورة الانسحاب الاسرائيلي إلى حدود الخامس من حزيران عسكريا ومدنيا فان هذا يعني:

1. الانسحاب الكامل من القدس المحتلة عام 1967.
2. الانسحاب من جميع الاراضي المحتلة عام 1967 بما يشمل انسحاب العسكريين والمدنيين، وهذا يعني انهاء الاستيطان بشكل كامل.
3. حل مسألة المياه استنادا إلى مبادئ وقواعد القانون الدولي.
4. بالنسبة للترتيبات الامنية: تنص الفقرة (جـ) من المادة التالية لوثيقة العمل كما يلي:
يدرك الطرفان ان الارهاب الدولي بكل اشكاله يهدد امن كل الدول ولذلك فان لهم مصلحة في تعزيز الجهود الدولية لمعالجة هذه المشكلة. ويتعهد الطرفان بالامتناع عن تنظيم أي عمل تهديد بالعنف ضد الطرف الآخر أو ضد مواطنيه أو ممتلكاته. ويتخذ كل طرف الاجراءات الضرورية لضمان عدم انطلاق مثل هذه الاعمال من اراضيه. مع تأكيد خاص على السيادة والحقوق الاساسية وحرية التعبير سياسيا واعلاميا وايجاد حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين.

إن تثبيت قضية اللاجئين في التعديل السوري يعطي اهمية خاصة للقرار الدولي (194) الذي يشكل الحل العادل. وهو في الوقت نفسه يواجه مؤامرة التوطين المرفوضة من شعبنا الفلسطيني وامتنا العربية.

5. اما بالنسبة للعلاقات مع الجوار و كيف يجب ان تحدد في ظل سلام عادل وشامل فان النص الذي تضمنته وثيقة العمل المعدلة سورياً جاء في المادة (4) كما يلي:

المادة (4) علاقات السلام العادية

- يطبق الطرفان فيما بينهما احكام ميثاق الامم المتحدة ومبادئ القانون الدولي التي تحكم العلاقات بين الدول في زمن السلم وعلى الاخص:
  1. يقر الطرفان بسيادة كل منهما وسلامته الاقليمية واستقلاله السياسي وحقه في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها.
  2. يقيم الطرفان علا قات حسن جوار بينهما ويمتنعان عن استخدام القوة أو التهديد باستخدامها بشكل مباشر أو غير مباشر ضد بعضهما، ويعملان على تعزيز السلام والاستقرار والتنمية في منطقتهما، ويسويان الخلافات فيما بينهما بالطرق السلمية.
- يقيم الطرفان فيما بينهما علاقات دبلوماسية وقنصلية بما في ذلك سفراء معتمدين.
- يقر الطرفان بان علاقاتهما تقوم على المصلحة المتبادلة واحترام علاقات حسن الجوار، ولاجل هذا الغرض فانهما:

1. يشجعان العلاقات الثنائية والاقتصادية، والتجارية بما يتفق مع مصالحهما. ويتخذان من التدابير ما يسهل حركة البضائع والاشخاص وفقا للقوانين والانظمة النافذة في بلديهما.
2. يزيل الطرفان المعوائق التمييزية امام العلاقات الاقتصادية العادية، بما فيها المقاطعة الاقتصادية الموجهة ضد الطرف الآخر.
3. - ينشئ الطرفان فيما بينهما علاقات في مجال النقد.
4. يتفق الطرفان على اقامة علاقات سياحية فيما بينهما وينشطان السياحة مع بلدان ثالثة، وفي هذا المجال فانهما يلتزمان بمراعاة التقاليد السائدة لدى كل منهما.
5. يسمح الطرفان بالاتصالات البريدية والسلكية واللاسلكية على اساس عدم التمييز ووفقا للاتفاقيات الدولية ذات الصلة.
6. يحق لمواطني كل طرف التقاضي امام المحاكم في بلد الطرف الآخر (15) .

مما تقدم تظهر ايجابيات التزام اسرائيل بالمطلب السوري المتعلق بالانسحاب الكامل من الجولان، وخاصة في اكثر القضايا حساسية وهي القدس التي تم ضمها إلى الكيان الصهيوني كما حصل لاحقا مع الجولان. فالقرار بالغاء ضم الجولان والانسحاب منهما يشكل مقدمة وسابقة هامة، بالنسبة للقدس، إلى جانب القضايا الاخرى المشار لها اعلاه..

والى جانب الايجابيات الكثيرة، ومنها انهاء حالة المزايدة التي تعيشها الفصائل الفلسطينية في دمشق، والتي بدأ بعضها يتطلع إلى الالتحاق بالمسيرة في الوطن وخاصة على ضوء انتهاء المرحلة الانتقالية. إلى جانب هذه الايجابيات، فان هنالك سلبيات لا يمكن اغفالها. ولئن كانت السياسة المعلنة لمنظمة التحرير والسلطة الوطنية تركز على الايجابيات، الا ان الاشارة إلى السلبيات كانت ضرورية للحيطة والحذر. ولاعطاء الكادر المسؤول صورة عن الحقيقة كما تراها القيادة. وقد عبرت نشرة الحقيبة العدد (46) عن هذه السلبيات بشكل مفصل على الشكل التالي:

أولا: من الطبيعي ان تفعيل الحركة على المسار السوري، سوف يقلص تركيز الجهد الذي كان معطى للحركة على المسار الفلسطيني. وان هذا التقليص في حجم التركيز على المفاوضات الفلسطينية، يلتقي عند هدف باراك التكتيكي باضعاف بنية التوازن الدولي الدبلوماسي حول المسار الفلسطيني، لتجريد القضية الفلسطينية خلال المفاوضات على الحل النهائي من هذا الثقل الدولي، الذي اعطى المفاوض الفلسطيني ميزة استراتيجية. ان سورية حاولت القفز من فوق القضية الفلسطينية، دون ان تأخذ بعين الاعتبار حراجة الوضع الفلسطيني. وهذا هو البعد السياسي والتكتيكي الاكثر تأثيرا الان، في انعكاساته ومفاعيله، على المدى القريب والمباشر.

ثانيا: ان اعادة تفعيل المسار السوري بموازاة المسار الفلسطيني، قد يتيح للحكومة الاسرائيلية هامش من المناورة التكتيكية في مفاوضاتها مع الطرفين، السوريين ونحن، في غياب أي تنسيق بيننا وبين دمشق. وقد يحاول باراك الآن الضغط على كلا الطرفين لانتزاع افضل مساومة ممكنة منا ومنهم في المفاوضات. وهنا يظهر العيب الاستراتيجي في ضعف التنسيق بيننا وبين سورية، التي رفضت دعوة مصر، ودعوتنا للتفاهم على اطار من التنسيق الخماسي في وقت سابق.

ثالثا: ولعل اسوأ السيئات في كل ما يتعلق بهذه القضية، ليس ان سورية ادارت ظهرها إلى مصر خلال الاتصالات التي كانت تجريها تمهيدا لعودة التفاوض، وهذا خطأ فادح، ولكن سورية التي ما برح نظام

الحكم فيها منذ ثلاثين عاما، يقيم شرعيته على اساس من الادعاء القومي، اسقط القضية الفلسطينية من حسابه في التفاوض والسلام مع اسرائيل. فلم يأت وزير خارجية سورية في خطابه المطول الافتتاحي للمفاوضات على ذكر فلسطين أو القضية الفلسطينية، وهذا مؤشر سلبي، اذ اعتبرت سورية ان التوصل إلى اتفاق على المسارين السوري واللبناني، فقط هو حدود الثمن الذي ينهي العداء القومي مع اسرائيل والصراع العربي الاسرائيلي، ولاول مرة تسقط سورية فلسطين والقدس، أي ازاحة القضية الفلسطينية امام اية تسوية تعقدها سورية مع اسرائيل.

رابعا: في الواقع برهنت سورية عبر هذا التجاهل المقصود، عن رغبتها فك الارتباط بالقضية الفلسطينية، القضية المركزية للامة العربية، وفق العقيدة السياسية لحزب البعث العربي الاشتراكي. ويربط سورية تعريف الصراع - الاسرائيلي ان كان مجرد صراع حدود أو وجود، انطلاقا من اتفاق سورية واسرائيل على سحب هذه الاخيرة قواتها من الجولان، هو اكبر لطمة يوجهها نظام الحكم في سورية للقضية الفلسطينية التي هي عنوان شرعية استمرار النزاع أو حله. وهذه الضربة تأتي في ختام سلسلة من الضربات التي وجهها هذا النظام طوال تاريخه للقضية الفلسطينية: محاولة احتواء حركة فتح في مهاد انطلاقتها. وضرب الثورة الفلسطينية العام 1976 في حرب السنتين. ومحاولة شق الحركة الوطنية الفلسطينية عام 1983 وخذلان منظمة التحرير الفلسطينية وتركها تقاتل اسرائيل وحيدة خلال اجتياح عام 1982 ومحاصرتها أول عاصمة عربية. والحرب ضد المخيمات 1985-1987 واخيرا حصار هذه المخيمات، ورفض أي محاولة للتنسيق معنا ومع مصر للاتفاق على استراتيجية موحدة في التفاوض مع باراك. وتغذية الانتقادات التي توجهها المعارضة الفلسطينية والعربية، طوال الوقت بفيض من الافتراءات، حول خيانة المنظمة وتنازلها، وتفريطها الخ.

خامسا: سوف نرى في الواقع، وهذا ما نقصده بالمرور في التجربة، ان كانت مزايدات دمشق على مصر بعد اتفاق كامب ديفيد، وعلى الاردن بعد اتفاق وادي عربة، وعلينا بعد سلسلة اتفاقات اوسلو، يمكن ان تصمد للنقد، أو تأتي بأفضل الحلول. ولكن في غضون ذلك، من سيتهم دمشق انها ستقدم على بيع حزب الله، كثمن للسلام مع اسرائيل، بعد ان استخدمته كورقة في مفاوضاتها؟ ومن سيتهم دمشق انها ستخضع لاعادة انتشار جيشها لمناطق "أ" و "ب" و "ج"، في اطار ترتيبات امنية، تجعل هناك مناطق منزوعة السلاح، أو مقلصة، ومناطق يتسلح فيها الجيش السوري بأسلحة خفيفة، وأخرى ثقيلة. ولكن ضمن مواقع محددة؟

ومن اخيرا سيتهم دمشق ونظامها القومي، انها ستسمح بفتح حدودها امام اسرائيل "الكيان الصهيوني"، للاطلال على حدود العراق ومنطقة الخليج العربي، في اطار العلاقة الجيدة التي تقوم على اساس التنافس الحضاري مع ما كان العدو القومي؟ وهل اخيرا، كل الحروب التي خاضها الجيش السوري والجيوش العربية منذ العام 1948، كانت بهدف استرداد الجولان، ام استرداد فلسطين؟ وهل سنرى افتتاح دمشق اول سفارة لها في اسرائيل، قبل ان تفتح سفارتها في الدولة الفلسطينية؟

سادسا: واذا ما قدر للمفاوضات بين سورية واسرائيل ان تنتهي إلى اتفاق سلام بينهما قبل التوصل إلى حل القضية الفلسطينية. فلعله يمكن القول عندئذ، ان جميع الدول العربية، في اطار ما سمي في وقت ما بدول الطوق، أو المواجهة مع اسرائيل، قد سعت إلى تفضيل اولوية التوصل إلى انعقاد سلام مع اسرائيل، قبل ان تحل القضية المركزية في الصراع العربي الاسرائيلي. ولعل هذا هو الدافع الرئيسي الذي حكم توجه رئيس الوزراء الاسرائيلي الحالي باراك، اغلاق هذه الثغرة الاخيرة، بتفضيله دفع الثمن

السوري، لكي يمكنه الالتفاف على القضية الفلسطينية وتحاشي دفع الثمن لحله (17).

وعندما وصلت المفاوضات إلى طريق مسدود بسبب اصرار باراك على كسر الموقف السوري وفرض الانسحاب إلى الحدود الدولية وفرض السيطرة الاسرائيلية على المياه. كان لا بد ان يتدخل الرئيس كلينتون. وتمت الدعوة إلى قمة جنيف التي حمل فيها كلينتون مقترحات باراك ليحاول فرضها على الاسد. ولكن:

(لقد فشل كلينتون في انتزاع ما اراده باراك من الاسد. وهو ليس مجرد قضايا شكلية وانما قضايا تمس الجوهر، بحيث كان الالتجاء إلى قاعدة "درء المفاسد اولى من جلب المنافع" هو الذي انقذ الاسد من الوقوع في براثن التواطؤ الامريكي الاسرائيلي. فاللحظة الحرجة التي يعيشها الاسد هي لحظة مركبة لا تتوقف عند حالته الصحية الحادة. ولا على الوضع الاقتصادي السوري أو التنظيمي في حزب البعث أو الطائفي أو حتى العائلي. فهو قد خيب ظن كلينتون الذي اعتقد ان الاسد قد وصل إلى الزاوية الحرجة التي ينكسر فيها موقف الهامه الضوئي. ولكنه وجد ان ما يعني الاسد ليس ما الذي سيحدث بعده. وانما ما الذي سيقال عنه حتى آخر لحظة في حياته. لقد اصبح اسيرا لمجموعة الشعارات التي اطلقها عن قناعة تامة منذ ان غادره السادات لزيارة القدس، إلى ان شارك بقواته في الحرب الامريكية العدوانية ضد العراق في حفر الباطن. لقد ردد منذ البداية ولا يزال مقولة رفض التطبيع مؤكدا ان ذلك يحتاج إلى زمن طويل بعد التوصل إلى اتفاقية سلام والتوقيع عليها. كما ردد منذ البداية ولا يزال، ان الانسحاب الاسرائيلي يجب ان يكون كاملا غير منقوص وذلك إلى حدود الرابع من حزيران. هذان القيدان كانا درع الاسد الواقي من ضغوط كلينتون. وهما في رأيه اقل خطرا على موقفه الشخصي القومي من مشاركة القوات الامريكية بديلا عن اسرائيل لضرب الشعب العراقي. وهو قد ادرك داخليا كم خُدع من الامريكان عندما قال ريتشادر هاس للسوريين الذين طالبوا بغنائم العدوان في عصر السلام: "لقد فقدتم عمقكم الاستراتيجي بعد ضرب العراق). ولا يعتقد الكثيرون ان الاسد قادر على توريث طائفته أو ابنه كلا الوزرين (18).

لقد استطاع كلينتون ان يفرض على نتنياهو الدخول في مفاوضات حول (الانسحاب من مدينة الخليل بعد قمة واشنطن عام 1996 وبعد ان كانت (لا) ياسر عرفات تهدد ليس فقط مسيرة التسوية وانما انتخابات الرئاسة الامريكية للدورة الثانية التي كان يخوضها كلينتون. وجاء بروتوكول الخليل ليفرض على الليكودي نتنياهو الانسحاب من اجزاء هامة من مدينة الخليل، التي هي اكثر المدن قدسية بالنسبة لليهود. لقد كان بروتوكول الخليل نقطة تحول في الفكر الصهيوني الليكودي المتزمت الذي اعترف لاول مرة بما كان يعتبره خيانة من حزب العمل. والاكثر اهمية من ذلك ان بروتوكول الخليل قد حصل على 87 صوتا في الكنيست الاسرائيلي وهو ما يفوق ما حصلت عليه اتفاقات كامب ديفيد.

هل استطاعت (لا) حافظ الاسد ان تجعل كلينتون يفرض على باراك العودة إلى تفاوض ضمن شروط الانسحاب حتى حدود الرابع من حزيران. وهو ما يتردد "على انه" وديعة رابين. وهل استطاعت (لا) حافظ الاسد ان تجعل كلينتون يفرض على باراك العودة إلى التفاوض دون التمسك بموقف التطبيع قبل التوقيع.

يبدو الامر غريبا في ظل اتهام كلينتون بان الكرة هي الان في ملعب الاسد. وهذا هو الضغط العلني الذي يمارس على سوريا، وهو الامر الذي خدم الاسد بشكل أو باخر في عملية ترتيب البيت الداخلي

في سوريا، ولكن هذا الضغط العلني على الاسد ترافق كما يبدو، بضغوط سرية على باراك من اجل العودة إلى المفاوضات، خاصة وان الورقة اللبنانية ظلت صامدة في يد الاسد، رغم بعض التصريحات الفردية المنطلقة هنا وهناك. فالوجود السوري في لبنان لم يعد مجرد وجود عسكري وانما وجود مصالح مرتبطة بالفئات المتصارعة داخل ذلك القطر. وكما اصبح وجود جيش لبنان الجنوبي والاحتلال العسكري لجنوب لبنان عبئا قاتلا على اسرائيل لدرجة الاستعداد للهروب، فان حقيقة الوجود السوري في لبنان اصبحت تؤكد، انه ما لم ينسحب من الجولان كاملا فان ادوات سوريا في لبنان ستظل تؤكد ان الوجود الاسرائيلي في الجولان هو عبء على اسرائيل، تماما كما كانت قوات لحد. ولكن المعركة ستستمر ما دام الانسحاب الاسرائيلي من طرف واحد لا يدخل في اطار تكامل المسارين السوري واللبناني.

إن افشال تكتيك باراك في التلاعب على المسارات يشكل قضية هامة في سد الفجوات القائمة نتيجة غياب التنسيق المطلوب بين المفاوض الفلسطيني والسوري. وقد اعتبر الخبير الاسرائيلي في الشؤون السورية ايتمار رابينوفتش ان اكثر الردود مناسبة على موقف حافظ الاسد هو دفع المسار الفلسطيني والقيام بانسحاب احادي الجانب من لبنان. وهذا الاعلان يشير إلى المفهوم الاسرائيلي لفكرة التلاعب، بحيث يؤكد ان الانفراج أو عدمه على طاولة المفاوضات التي ستستأنف في واشنطن انما هي ردود فعل وليس بحثا حقيقيا عن التوصل إلى سلام. ويعتقد هذا الموقف الاسرائيلي بانتهازيته المكشوفة. ان المفاوض الفلسطيني سيقدم تنازلات من اجل الحصول على فتات فشل قمة جنيف. ولكن العكس هو الصحيح. لقد استوعب المفاوض الفلسطيني الدرس من الموقف السوري الذي رفض كما يقول رابينوفتش اربع خيارات مهمة كان يطمح لتحقيقها في حياته وهي:

1. السلام نفسه.
2. علاقات جديدة وحسنة مع الولايات المتحدة.
3. إزالة خطر المجابهة مع اسرائيل في لبنان.
4. تكوين غلاف خارجي وداخلي مريح لنقل الحكم لابنه بشار.

ويعتقد رابينوفتش الذي ترأس طاقم المفاوضات مع سوريا سابقا، ان الاسد يريد ان يخرج من الاتفاق مع اسرائيل كطرف منتصر وليس كطرف مهزوم. وهو امر اهم من الانجازات التي طرحها كلينتون (19) .

ويعتقد الكثيرون ان فشل كلينتون في قمة جنيف يعزز الوضع الداخلي لكل من الاسد وباراك. حيث كانت التكهنات حول الصفقة المبرمة والجاهزة، والتي ما كان يمكن ان يجازف الاسد بالسفر المرهق، وكذلك كلينتون بعد جولة طويلة في الشرق الاوسط لمجرد لقاء فاشل. لقد كانت المعارضة الاسرائيلية تطلق صواريخها على باراك الذي تنازل عن بحر الجليل. في حين كانت الهمسات تلحن بعودة الاسد إلى موقف السادات والاكتفاء بالانسحاب إلى الحدود الدولية بدلا عن حدود الرابع من حزيران. اضافة إلى الموقف الشعبي من عملية التطبيع ورفضها. وقد غاب الاسد في ذمة الله، وتم الانسحاب الاسرائيلي المهين من جنوب لبنان. وعاد المسار الفلسطيني إلى المواجهة، وظل باراك يتلاعب داخل المسار الفلسطيني وبين قنواته، الانتقالي والنهائي.. المسري والعلني إلى ان انكشف الغطاء عن كل هذه السياسات المراوغة في كامب ديفيد، حيث الفشل الذريع للمؤامرة التي اعدها باراك بالتواطؤ مع الصهيوني دينس روس.

رابعا: الطريق إلى كامب ديفيد

كان نتنياهو اول من حاول القفز عن، أو تجاوز المرحلة الانتقالية والدخول مباشرة في المفاوضات حول قضايا الوضع النهائي. وقد صرح انه بالامكان التوصل إلى اتفاق خلال ستة اشهر.. وهي نفس المدة التي طرحها باراك على الاخ ابو عمار في لقائهما على معبر بيت حانون، واعتبرها فترة تجربة اذا لم يتم التوصل فيها إلى اتفاق تتم العودة إلى الالتزام باتفاق نهر الواي.

من الواضح ان باراك لا يختلف عن نتنياهو من وجهة النظر للموقف الا ستراتيجي. كان الخلاف ينحصر في التكتيك، وجوهره كيف تحقق ما تريد بحيث لا تخسر الدعم الامريكي. وكيف تعطل مسيرة السلام في وقت يصفك فيه العالم انك رجل السلام.. لقد رسم باراك ابتسامة خبيثة وعلى وجنتيه بديلا لتلك الكشرة (الدوغمائية) التي شكلت قناع وجه نتنياهو طيلة مرحلة حكمه.

كانت تجربة قمة نهر الواي التي خسر فيها نتنياهو ثقة الولايات المتحدة تختلف عن تلك القمة التي يطمح باراك إلى تحقيقها. كان يريد ان يحقق ما يريد، تماما كما استطاع بيجن ان يحقق في كامب ديفيد الاولى ما اراده من السادات. وفي مقدمة ذلك انهاء حالة الصراع. وتأجيل قضية القدس والقضية الفلسطينية في اطار مفاوضات شكلية حول الحكم الذاتي.

لقد توصل باراك مع دينس روس إلى تفاهم كامل لنصب كمين جديد في كامب ديفيد تتم فيه مشاركة ياسر عرفات ووفده المعروف جيدا بالنسبة للمفاوضين الاسرائيليين ولدينس روس بصورة اوضح. وقد تم رسم السيناريو التالي الذي طبقه باراك بدقة منذ البداية ويمكن اجماله في النقاط التالية:

1. تعطيل تنفيذ اتفاق نهر الواي الذي كان باراك يطالب بتنفيذه عندما كان في المعارضة. وتحت عنوان استعداده لتقديم عرض افضل مما جاء في نهر الواي. والتلاعب على المسار السوري ثم فرض اتفاق مذكرة شرم الشيخ.
2. لم يحدد اتفاق شرم الشيخ حقيقة الالتزام بالمرحلة الثالثة من اعادات الانتشار خطيا وانما جاء ضمن ضمانات شفوية اعطيت للامريكان.. فكان واضحا ان الدمج بين قضايا المرحلة الانتقالية وقضايا الوضع النهائي التي يتضمنها التوصل إلى اتفاق الاطار قد تحققت من خلال مذكرة شرم الشيخ.
3. تصعيد حدة الا ستيطان والتهام الا راضي لتحقيق التواصل بين المستوطنات المتقاربة وخلق تجمعات استيطانية تفرض واقعها في المستقبل. وتحفز الجانب الفلسطيني على الاسراع في قبول الدمج تحت عنوان انقاذ ما يمكن انقاذه قبل استفحال الوضع.
4. عدم التوجه الصحيح لحل مشاكل الائتلاف الحكومي وتوظيف الديمقراطية لاظهار عجز الحكومة عن اتخاذ قرارات حاسمة لصالح عملية السلام. فاصبحت الديمقراطية اساسا للعدوان ولاستفحال الاستيطان.
5. فرض الدمج بين قضايا الوضع النهائي وقضايا المرحلة الانتقالية من خلال الرئيس الواحد لوفدي التفاوض.
6. سد الطريق امام امكانية التوصل إلى اتفاقية اطار، واعتبار الموقف الفلسطيني الذي كان يعبر عنه رئيس الوفد لمفاوضات الوضع النهائي الاخ ياسر عبد ربه معطلا لمسيرة السلام.

7. محاولة الالتفاف على القناة العلنية بفتح قناة سرية تتجاوز عوديد عيران وياسر عبد ربه وتكون اكثر قدرة على اتخاذ القرار. وكانت تلك نصيحة من دينس روس الذي كان يخطط بمهارة للوصول إلى كامب ديفيد. وبمشاركة الاخ ابو علاء رئيسا للوفد الفلسطيني السري، وشلومو بن عامي رئيسا للوفد الاسرائيلي، ثم اكتشاف المؤامرة التي تعمل على اغلاق كل امكانية للتوصل إلى اتفاق اطار. حيث صرح بن عامي للاخ ابو علاء انه غير مخول للتوصل إلى أي اتفاق. وان باراك لا يثق باحد ليعطيه حدود امكانية اتخاذ القرار. وان الحل الوحيد هو القمة.
8. إعطاء الانطباع ان باراك على استعداد ان يقدم اوراقا، مكشوفة فقط في القمة وامام كلينتون وياسر عرفات. وقبل ذلك لا يمكن. لان في ذلك خطورة على وضع ائتلافه الممزق.
9. الاشارة إلى الخروج من ازمة الائتلاف بتشكيل حكومة وحدة وطنية مع شارون.
10. إقناع كلينتون بان ياسر عرفات لا يستطيع ان يقول لا امام ما يمكن ان يعرضه عليه كلينتون كحل وسط. وما يتبع ذلك من دعم امريكي وعالمي سخي للدولة الفلسطينية ولمستقبل الشعب الفلسطيني. وهنا كانت تستجلب صورة السادات الذي تهالك للوصول إلى حل في كامب ديفيد على حساب القدس والقضية الفلسطينية تحت عنوان تأجيلها.
11. استحضار مسلسل التراجعات التي تمت على يد ياسر عرفات والوفود الفلسطينية المعارضة التي كانت تقول لا. ثم لا.. ولكنها ترضخ في النهاية. ويذكر في هذا المجال موضوع الخرائط في اتفاق طابا.. وموضوع بروتوكول الخليل.. والاستيطان في جبل ابو غنيم. واعادة التفاوض حول نفس القضايا في نهر الواي وشرم الشيخ.
12. كان تأجيل قضية القدس وقضية اللاجئين والتوصل إلى اتفاق جزئي يشكل مدخلا مقنعا بالنسبة للرئيس كلينتون.
13. وكان الاغراء الاكبر للرئيس كلينتون هو استعداد باراك على اعادة احياء من القدس الشرقية لتكون تحت السيادة الفلسطينية. وهو الامر الذي اعتبره كلينتون يتجاوز كل الامكانيات وليس بامكان ياسر عرفان رفضه.

هذا السيناريو الذي اعده دينس روس وباراك بعناية، كان يتجاوز مجموعة الحقائق التي طرحها الاخ ابو عمار للسيدة اولبرايت عندما جاءت لاقناعه بموضوع القمة. كان الموقف الفلسطيني واضحا ومقنعا وينطلق من ان باراك غير القادر على الالتزام بتنفيذ الاتفاق الذي وقع عليه والمتعلق بقضايا الوضع النهائي، لا يمكن ان يكون قادرا على تنفيذ القضايا الاكثر صعوبة القدس والحدود والمستوطنات واللاجئين. كما ان قضايا الوضع النهائي هي قضايا متكاملة لا يمكن تأجيل أي قضية منها. وان أي قمة يشارك فيها الرئيس كلينتون لا يجوز ان تكون قمة مفاوضات تفصيلية، وانما قمة للتوقيع على ما يجب ان تتفق عليه الاطراف.. ان التحضير الجيد للقمة هو اساس لنجاحها، ولا يجوز اقحام الرئيس كلينتون مرة ثانية في قمة مثل تلك التي عقدها مع الرئيس الاسد بتوريط من باراك.

لقد رفض الاخ ابو عمار المشاركة في قمة تفتقر إلى اساس النجاح. وكان يعتقد ان الرئيس كلينتون بعد ان يتبلغ رسالته التي حملتها اولبرايت سيدفع باتجاه استكمال التفاوض، والالتزام بتنفيذ اتفاقية شرم الشيخ كمقدمة للدعوة إلى القمة.

لقد أدرك الاخ ابو عمار ان الاصرار العجيب الذي يتمسك به رئيس الحكومة الاسرائيلية ايهود باراك بضرورة انعقاد القمة الثلاثية، وتأكيده ان المفاوضات لم تعد مجدية، له اسبابه الكامنة، ولكنها اصبحت اوضح من الشمس في عز الظهيرة. فالمفاوضات حول الوضع النهائي يمكن تحويلها إلى القمة، ولكن

قضايا المرحلة الانتقالية التي لا تزال عالقة، والتي يتعارض دمجها بقضايا الوضع النهائي مع نصوص اتفاق اوسلو، هي المطلوب ان تذوب بحيث تتحول إلى ورقة مساومة يبتز فيها باراك ما يستطيعه من قضايا مصيرية مثل القدس وحق العودة. وهو اذ يلمح بأنه على استعداد للاعتراف بالدولة الفلسطينية انما يريد ان يؤكد ان قيام هذه الدولة منوط باعترافه، وغير ذلك فهي اجراء من جانب واحد.

ومن جهة ثانية كان الاصرار الذي تمسك به الاخ ابو عمار عنيدا برفض أية قمة مع باراك قبل الالتزام الواضح بالاتفاقيات التي وقعت من خلاله في شرم الشيخ. ومن قبل اسلافه في نهر الواي. وطابا وواشنطن. وفي مقدمة ذلك الافراج عن الاسرى جميعهم بدون قيد أو شرط والانسحاب من جميع الاراضي التي تشملها المرحلة الثالثة من اعادات الانتشار، بحيث تبقى الاراضي المتعلقة بقضايا الوضع النهائي والتي لا تتجاوز 9 % من مساحة الضفة الغربية. اضافة إلى قضايا اخرى مثل الممرات الآمنة والمعابر والمطار. وقضايا اقتصادية.. الخ.

إن ادراك الاخ ابو عمار والقيادة الفلسطينية ان الذي يتصنع العجز تحت ذرائع الائتلاف الحكومي عن تنفيذ قضايا المرحلة الانتقالية سيكون اعجز عندما يتعلق الامر بقضايا الوضع النهائي. ومن هنا يأتي الرفض القاطع لاية قمة محكوم عليها بالفشل، وخاصة والكل يدرك جيدا ان هذا الفشل في كل الحالات سينسب الى الجانب الفلسطيني الذي يصر، كما يتردد على لسان دينس روس، واولبرايت، على الحصول على 100% من طلباته. ان هذه المقولة الخادعة والمضللة التي تنطلق على السنة الوسطاء الامريكيين تتجاهل حقيقة ان الاتفاق هو الذي حدد الحل الوسط. فالمئة بالمئة بالنسبة للشعب الفلسطيني هي كل فلسطين، بناء على الحق التاريخي. وهي 46% من مساحة فلسطين بناء على قرار الشرعية الدولية 181. ولكنه بالنسبة لاتفاق اوسلو وللقرار 242 الذي قبل به الشعب الفلسطيني كحل وسط لا يتجاوز 23% من مساحة الضفة الغربية، واي مطالبة للتنازل عن هذا تعني فتح الباب على مصراعيه للاغتصاب وللاستيلاء على اراضي الغير بالقوة. الامر الذي يتناقض مع جوهر القرار الدولي 242، ومع مبدأ الارض (كل الارض) مقابل السلام (كل السلام).

ولاحداث ضغط جديد لفتح باب القمة تمخض عقل باراك عن فرية ألبسها زي القانون المزيف تقول: ان القرار 242 لا يتعلق بأي كيان فلسطيني، وهو بذلك لا ينطبق على الاراضي الفلسطينية المحتلة. وعلى الرغم من الرد الامريكي الواضح الذي يرفض هذا الافتراء، فقد كان التساؤل باسم القانون الدولي عن القرار الذي يتعلق بالكيان الفلسطيني حتى يتم التمسك به. وكان الجواب جاهزا انه في القرار (181) الذي صدر عن الجمعية العامة للامم المتحدة والذي يقرر اقامة دولة عربية في فلسطين إلى جانب دولة اسرائيل، ويرسم لها حدودا بخطوط واضحة. وهو القرار الذي يعطي الشرعية الدولية لوجود اسرائيل كدولة في الامم المتحدة. وهو ايضا يشكل الاساس الذي تم عليه اعلان الاستقلال الفلسطيني عام 1988 وعلى اساسه سيقوم تجسيد الاستقلال المادي على الارض للدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس المباركة، قبل نهاية هذا العام حسب قرار المجلس المركزي الفلسطيني.

وعلى الرغم من كل ما تقدم. وكل المحاذير فقد تم الضغط على كلينتون من اللوبي الصهيوني وتمت الدعوة إلى القمة في كامب ديفيد. والتي كانت بالنسبة للاخ ابو عمار والوفد المفاوض ولكل الشعب الفلسطيني مؤامرة لا بد من افشالها. حيث في ذلك يتحقق نجاح وانتصار قاعدة درء المفاسد اولى من جلب المنافع.

هنالك في كامب ديفيد ظهر لهم ياسر عرفات بشكل لم يعهدوه خلال مرحلة المفاضاوت حول الوضع الانتقالي. حيث كان يبدو متساهلا. وكثيرا ما كان يتم التراجع عن القرارات التي تأخذها الهيئات الفلسطينية بمقاطعة المفاوضات. فان ما يحكم مسلك الاخ ابو عمار في مفاوضات الوضع الانتقالي هو تحقيق نظرية التراكم. ومنهج (خذ وطالب) ما دام ذلك لا ينتهي بتوقيع نهاية الصراع. ولكن قمة كامب ديفيد المتقرحة كانت تتعلق اكثر ما تتعلق بقضايا الوضع النهائي التي يريد باراك ان يدمج معها قضايا الوضع الانتقالي العالقة والمتعلقة باعادة الانتشار الثالثة. وبالافراج عن الاسرى والمعتقلين. وقضايا اخرى كثيرة وحيث ان قضايا الوضع النهائي ستكون في القمة على رأس جدول الاعمال، فان النظرية التي تحكم منهج الاخ ابو عمار هي نظرية التكامل. حيث الصلابة المبدئية التي تقتضي عدم التفريط باي من القضايا أو تأجيلها أو تجزئتها. فالذي لا يستطيع ان يُحققه في الحل النهائي سيضيع إلى الابد. من هنا كانت المفاجأة التي ظهرت فيها حقيقة منهج ياسر عرفات التكاملي.. والذي يرتكز على الصلابة المبدئية والمرونة التكتيكية. وهو الامر الذي مكنه من الصمود في وجه محاولات الترهيب والترغيب على حد سواء. لقد كان الموقف التفاوضي في كامب ديفيد محكوما بالثوابت التي حددها المجلس المركزي في دورته السابقة لقمة كامب ديفيد والتي شكلت قاعدة ارتكاز رئيسه في وجه الضغوط التي حاولت الانتقاص من اهمية الامانة التي تمسك الاخ ابو عمار والوفد بصيانتها.

خامساً القدس في المعركة

اعتقد باراك ودينس روس ان التفاوض مع الجانب الفلسطيني حول قضايا الوضع النهائي يمكن ان يستمر على اساس نظرية التراكم التدريجي نفسها. التي سادت المفاوضات حول المرحلة الانتقالية. ولذلك كانت المطالبة منذ البداية بتأجيل موضوع القدس وموضوع اللاجئين. وقد ادرك الوفد الفلسطيني برئاسة الاخ ابو عمار اهمية القدس في عملية التفاوض الجارية في كامب ديفيد. كان لا بد من قلب نظرية التفاوض التي اعتمدها باراك ودينس روس والتي طالبا كلينتون ان يتبناها والتي تقوم على اساس تأجيل القضايا الاكثر صعوبة والاتفاق على التفاصيل الصغيرة... ولقلب هذه النظرية فقد اعتمد الاخ ابو عمار نظرية التفاضل والتكامل بحيث تبدأ بالقضية الاكثر اهمية وصعوبة للتكامل مع القضايا الاخرى.

واذا كانت نظرية التراكم تهدف إلى تعزيز الثقة بين الطرفين المتفاوضين من خلال تطبيق مبدأ التبادلية. فان نظرية التفاضل والتكامل من شأنها ان تعزز الثقة الذاتية بالحقوق التي تنص عليها مرجعية عملية السلام وقراري مجلس الامن 242، 338 ومبدأ الارض مقابل السلام، والقرار 194 الخاص بحق العودة والتعويض، للاجئين الفلسطينيين.

كان اقحام القدس في المعركة، بكل ما تحمله من حساسية مرهفة تجاه الشعب الفلسطيني. وتجاه الامة العربية والامة الاسلامية، يشكل سلاحا مركبا في يد المفاوض الفلسطيني. فالى جانب انها شكلت الترس الواقي والحامي للقضايا الاخرى التي لا يمكن التوصل إلى حلول حولها الا بالتوصل إلى الحل حول القدس، فقد شكلت ايضا السيف الذي استطاع ان يحدث الاختراقات في بحث القضايا بحيث لم تعد المساومة بين قضايا الوضع الانتقالي العالقة وقضايا الوضع النهائي، وانما بين القدس وقضايا

الوضع النهائي الاخرى، وخاصة الحدود أو المستوطنات، وحتى قضية القدس ذاتها التي فتح ملفها ولاول مرة. لقد تقلصت بسبب القدس الارقام الكبيرة للنسبة من الارض المحتلة التي كانوا يطالبون بضمها للكيان الصهيوني لتصل إلى 8% وهذا يعني تحقيق حالة التواصل الجغرافي وانهاء فكرة الكانتونات والبندستونات. كما ان الحدود مع الاردن ومصر تم التسليم بالسيطرة الفلسطينية عليها وعلى المعابر مع بعض الخلافات الجزئية حول الحدود مع الاردن.

كان الموقف الاسرائيلي من القدس قد تحدد في مجموعة بدائل واحتمالات عبرت عنها الدراسة التي وضعها فريق فكري خاص في معهد القدس لابحاث اسرائيل. والذي يطرح للعناوين المختلفة ثلاثة بدائل أو اقتراحات. وحيث ان الاقتراح الثالث يعبر عن الحد الادنى من الصلابة فهو بذلك يعبر عن نقطة بدء التفاوض، وقد جاء في هذا الاقتراح الثالث حول القدس ما يلي:

1. الوضع القانوني: تقسيم المدينة، بحيث يصبح جزء من القدس الشرقية تحت السيادة الفلسطينية.
2. مستقبل المواطنين العرب: المواطنون الفلسطينيون الذين سيبقون في المناطق التي تقع تحت السيادة الاسرائيلية لهم الحق بالاختيار بين الجنسية الاسرائيلية أو الفلسطينية.
3. الانتخابات: لمواطني السلطة الوطنية حق الانتخاب والترشيح بدون قيود. وحق المشاركة في الانتخابات البلدية في المناطق التي تحت سيطرة اسرائيل حسب القانون الاسرائيلي، وفي المناطق الفلسطينية حسب القانون الفلسطيني.
4. المواطنة: في المناطق الفلسطينية صلاحيات كاملة للسلطة الفلسطينية تجاه الفلسطينيين بما في ذلك صلاحية منح التصاريح للدخول، وتسجيل المواطنين حسب ما يتم الاتفاق عليه بين اسرائيل والسلطة الوطنية الفلسطينية.
5. الوضع القانوني للمنطقة: المناطق التي تحت السيطرة الفلسطينية يكون وضعها القانوني كما هو في مناطق السلطة الوطنية الفلسطينية والمناطق التي تحت السيطرة الاسرائيلية كما هو الامر في اسرائيل.
6. الصلاحيات القضائية: في المناطق الفلسطينية كما هو الحال في السلطة الوطنية الفلسطينية وفي المناطق الاسرائيلية كما هو الحال في اسرائيل.
7. الحدود: القدس تبقى مدينة مفتوحة بدون تقسيم ويتم الحفاظ حسب الممكن على التواصل الجغرافي بين الاحياء اليهودية التي تقع في القسم الشرقي مع القسم الغربي. وفي المقابل يتم الحفاظ على التواصل الجغرافي بين الاحياء العربية وبين هذه الاحياء ومناطق السلطة الوطنية الفلسطينية. وهناك ثلاث امكانيات لحدود السيادة الفلسطينية:
   a) يكون مقر الحكومة ضمن مجال البلدية القديمة بحيث يتم التواصل جغرافيا مع مناطق السلطة الفلسطينية.
   b) جميع الاحياء المأهولة بالسكان الفلسطينيين ما عدا بيت صفافا وداخل البلدة القديمة اللذان سيكونان تحت الادارة المشتركة.
   c) شرق القدس ما عدا الاحياء اليهودية (بما في ذلك الحي اليهودي في البلدة القديمة).
8. طابع الحدود: ستكون الحدود ذات طابع وظيفي لا هداف مختلفة كما سيتم الاتفاق عليه بين اسرائيل والسلطة الوطنية الفلسطينية.
   a) حدود مفتوحة للتجارة، السياح، المصلين ولاهداف صحية والتربية والتعليم والثقافة والدين.
   b) حدود محدودة للعمال من خلال الحفاظ على حقوق اجتماعية كاملة.
   c) حدود صارمة الاستيطان (الحصول على حقوق المواطنة ولاسباب امنية).

d) حركة السيارات: حسب ما يتفق عليه مع اسرائيل.

9. الادارة البلدية: تشكل بلدية فلسطينية وبلدية اسرائيلية ضمن اطار ادارة متروبولية أو بلدية عليا، ويتم انتخاب ادارة الحي من مواطني الحي. ويتم منح الادارات صلاحيات إلى مجالات التربية والتعليم والصحة والنظافة، الحفاظ على الحدائق العامة، الرقابة على البناء العام، الشرطة المحلية (الحفاظ على النظام العام) بحيث يبقى مصدر الصلاحيات بايدي اسرائيل.

10. الاماكن المقدسة:

a) يتم احترام حرية الشعائر الدينية وحق الوصول اليها، وادارة كل مكان مقدس بايدي من يعتبر هذا المكان مقدس بالنسبة له.
b) والحفاظ على الوضع القائم في الاماكن المقدسة للنصارى في القدس ينطبق عليها تعريف (الوضع القائم) ويتم احترام الحقوق القائمة لباقي الاماكن المقدسة.
c) والامتناع عن الدعاية والتحريض ضد الاديان الاخرى، وضد دولة اسرائيل.
d) وكذلك الحد من الضجة والمواصلات وتلويث البيئة في جميع المواقع المقدسة.
e) وبالنسبة للحرم القدسي يبقى تحت السيطرة الفلسطينية، أو تحت صلاحيات دينية اسلامية/فلسطينية، مع امكانية للحفاظ على مسؤولية الاردن الحالية، جميع ذلك من خلال الحفاظ على (الوضع القائم) في مجال حرية العبادة لليهود والحفاظ على النظام العام بيد السلطة الحاكمة في الحرم القدسي.
f) لا يتم السماح بانشاء مؤسسات رسمية في الحرم القدسي.
g) ولاسرائيل الحق باستخدام القوة داخل الحرم القدسي في الحالات التي تتعرض فيها حياة الاسرائيليين للخطر و/أو حدوث عمليات ارهابية.
h) ويتم السماح للاسرائيليين والسياح بالدخول إلى الحرم القدسي في اوقات متفق عليها وبالتنسيق بين اسرائيل والسلطة الحاكمة في الحرم القدسي.
i) يتم الحفاظ على الوضع الهندسي القائم في الحرم القدسي حسب الوضع القائم اليوم.
j) لا يتم السماح برفع العلم الاسرائيلي على الحرم القدسي.
k) يتم انشاء تواصل جغرافي بين الحائط الغربي والحي اليهودي اللذان سيكونان تحت السيادة الاسرائيلية.
l) يتم الاعلان عن تنازل اسرائيلي فلسطيني بتبادل املاك الوقف العام لكل طرف والموجود تحت سيطرة الطرف الآخر) (20).

هذه المواقف تجاه القدس كان خلاصة ال (لا) الكبيرة التي يرفعها باراك حول القدس الموحدة عاصمة لدولة اسرائيل. وهو اذ يحاول الدخول بالحد الاقصى من المواقف التفاوضية والتي ترفض الحد الادنى الذي عبر عنه الخيار الثالث لفريق معهد القدس لابحاث اسرائيل.

لقد دخلت القدس معركة كامب ديفيد.. وحولها دارت المعركة وقد عبرت نشرة الحقيبة الصادرة عن وزارة التخطيط والتعاون الدولي العدد (52) عن طبيعة المعركة بقولها.

(كانت المعركة حول القدس هي المعركة الاشرس، والاكثر صعوبة، والتي اصطدمت المفاوضات عملياً بصخرتها، ومنذ البداية اراد الاسرائيليون تأجيلها، ولكننا اصرينا على بحثها وعدم تأجيلها. وهنا لفهم ابعاد ما حدث، فان تعريفنا القدس الشرقية، لا يقتصر على القدس القديمة، أو البلدة القديمة فقط، وانما يشمل داخل السور، وخارج السور على حد سواء. أي بما في ذلك الاحياء الخارجية، وهذه هي القدس

التي اصرينا على عودتنا إلى السيادة الكاملة، كما كانت قبل حرب 1967.

والذي حدث انهم عرضوا مزيجا من الاقتراحات الغريبة والمعقدة، التي تهدف بالمحصلة، إلى ابقاء السيادة والمفاتيح في أيديهم، وتتمحور هذه الاقتراحات بين تقسيم القدس وتجزئتها إلى دوائر، وحارات واحياء ، والمزج بين مفاهيم ملتبسة وغامضة، عن السيادة والولاية، والتقاسم الوظيفي، بل وذهبوا إلى حد الاقتراح بتقسيم السيادة بين الارض والمساء، بأن تكون لنا مثلا السيادة من الارض إلى السماء بصورة عامودية، وان تكون لهم السيادة تحت الارض إلى باطن الارض. والمقصود بذلك ان يكون لهم حق القيام بحفريات للتنقيب عن اثار الهيكل المزعوم، الذي تؤكد الحفريات منذ 70 عاما انه لا اثر له.

واقترحوا صيغاً من نوع السيادة لهم، والوصاية لنا، أي سيادة على الحرم الشريف، ووصاية ورعاية فلسطينية له، تحت السيادة الاسرائيلية. ومرة تكلموا عن مقر للرئيس في الحي الاسلامي، أو المدينة القديمة، ومرة اخرى مقايضتنا اما ان تأخذوا كل شيء خارج السور، أو ان تأخذوا داخل السور وتتركوا ما خارجه. وبالمحصلة، طرحوا انظمة مختلفة لكل حي داخل المدينة، بالفصل بين المسلمين والمسيحيين، وبين المسيحيين انفسهم، والى آخر هذه الافكار والصيغ، التي تقسم القدس إلى ما يشبه الموازييك السياسي الاداري والطائفي. وفوق ذلك، طلبوا بحرية الصلاة في بعض اجزاء الحرم القدسي الشريف.

والمطلب الاخير هدفه المزايدة فقط، اذ لم يطلب أي رئيس وزراء اسرائيل قبل الآن بالسيدة على الحرم، والحاخامات امتنعوا عن ذلك، ودايان منع في 17 حزيران 1967 الصلاة في الرحم، باعتبار ان الحرم يخضع لسيادة الاوقاف الاسلامية.

باختصار، العروض التي قدمت لنا حاولت تفتيت المدينة إلى اكثر من شكل، واكثر من صيغة، ومن صفة قانونية، وهذا رفضناه جميعه.

ما وافقنا عليه، هو قبولنا ان تكون القدس مدينة مفتوحة، وسيطرتهم على الحي اليهودي فيها، وحائط المبكى (حائط البراق) فقط. فيما السيادة على كامل القدس الشرقية تعود لنا.

وقد لعب الامريكيون في موضوع القدس دور المسوق البائع، للاقتراحات الاسرائيلية فكانوا يروجون الافكار والاقتراحات الاسرائيلية على انها امريكية. وقد حاولوا الاتصال بالبابا لجلب تأييده للافكار التي يطرحوها، وخصوصا فكرة التدويل، كما اجروا الاتصالات مع قادة عرب ومسلمين، لاقناع الاخ ابو عمار بالقبول ودعمه في التنازل.

وعلى الرغم من سلبية الموقف الامريكي فيما يتعلق بالقدس، الا ان التركيز حول القدس كسر التابو الاسرائيلي الذي يقول ان القدس مدينة موحدة تحت السيادة الاسرائيلية. فمنذ يوم الخميس 14 تموز حين عرضوا الورقة الاولى، حول النظام الخاص في القدس، اتخذت المفاوضات مجرى آخر، ودارت بالاساس حول السيادة، ولم تعد تتعلق بحدود الخلاف على الصلاحيات. ومن الناحية الفعلية هم وافقوا على سيادة فلسطينية على الحي الاسلامي، والحي المسيحي، وعلى الحرم، والاماكن الدينية المسيحية، واقامة مقر للرئيس في البلدة القديمة، مقابل سيادتهم على الحي اليهودي والحي الارمني، وما تحت الحرم، وتم رفض هذه المقترحات جميعها لانها لا تتعلق بمفهوم السيادة وانما بالاحتلال، ولا يمكن للوفد الفلسطيني ان يُعطي شرعية الموافقة على هذا الاحتلال، الذي لا يعترف به كل العالم. فالى الان لا احد

في العالم يعترف بالقدس عاصمة لاسرائيل، اضافة إلى ما تقدم فان الوفد الفلسطيني قال: لا نملك الحق بالتفريق بالاماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية. ولذلك رفض هذه الطروحات وسانده في هذا الموقف، الاجماع المسيحي الذي تجسد في تحرك بطاريكة الكنائس الرئيسية الثلاث في القدس، وميثاق العهد المسيحي الاسلامي في القدس، وموقف داعم أبداه العالم المسيحي والاسلامي، الذي كان الوفد يفاوض نيابة عنه في هذه القضية المقدسة) (21).

بدأ الموقف الامريكي من القدس في اللقاء الاول بين الاخ ابو عمار والرئيس كلينتون حيث قال كلينتون (يمكن ان يكون لنا الآن فرصة تاريخية سانحة لحل جميع القضايا، اما بالنسبة للقدس، فليس لدي الفكرة الشمولية لكيفية حلها) (22).

كان الاخ ابو عمار قد وصل إلى كامب ديفيد مباشرة بعد ان شارك في مؤتمر القمة الافريقي الذي انعقد في (توغو)، وقد لاقى في المؤتمر دعما مركزا حول قضية القدس.. وعندما استنتج توجه الرئيس كلينتون لتأجيل موضوع القدس قال الاخ ابو عمار للرئيس كلينتون: (لقد اتيت من مؤتمر القمة الافريقي، وهناك القيت خطابا. وكنت كلما ذكرت القدس الشريف، وقبل ان تنتهي ترجمة ما اقوله، كانت القاعة كلها تصفق لي. ويجب ان تفهم يا فخامة الرئيس منذ البداية، انني لن اقبل باي اتفاق يؤجل أي من القضايا، وخاصة اذا كانت قضية القدس. وانا حضرت إلى هذه القمة مستندا إلى مرجعية مدريد، والى ما وقعته مع السيد باراك في شرم الشيخ بان عملية السلام يجب ان تقود إلى تنفيذ القرارين 242، 338 وكما طبقتم ذلك مع المصرين وطبقتم ذلك مع الاردنيين وسيطبق مع السوريين واللبنانيين. وبالتالي فاننا نتوقع من هذه القمة ان نطبق قرارات الشرعية الدولية بالدقة والامانة المطلوبة) (23).

أخذ التصور الاسرائيلي يتشكل بحيث يصب في اتجاه تقسيم القدس إلى ثلاثة عناوين: الاول: الاحياء الخارجية: وتشمل السواحرة الغربية ام طوبة، شعفاط، بيت حنينا، قلنديا، المطار، كفر عقب، سمير اميس، العيسوية. وهذه تحول جميعها للسيادة الفلسطينية.

والعنوان الثاني يتعلق بالاحياء الداخلية: وهذه تشمل شارع صلاح الدين، باب العمود، المصرارة، الشيخ جراح، واد الجوز، الصوانة، الطور، سلوان، راس العمود، وهذه تقع تحت حكم ذاتي فلسطيني وظيفي للفلسطينيين موسع وشامل. وداخل المدينة القديمة كان العنوان الثالث. وقد طرح الاسرائيليون استخدام نظام خاص وهو ما يعني ان يكون داخل المدينة تحت السيادة الاسرائيلية، اما بالنسبة للحرم الشريف فيكون تحت ولاية فلسطينية تامة بما في ذلك وجود قوات امن فلسطينية فيه، وكذلك مقر للحكومة. ويبقى تحت الحرم خاضعا للسيادة الاسرائيلية.

وعند مناقشه الاسرائيليين حول مواضيع القدس بعناوينها الثلاثة، كان العنوان الاول وهو المتعلق بالاحياء الخارجية التي تقع تحت السيادة الفلسطينية الكاملة مقبولا كما هو.

أما بالنسبة للعنوان الثاني المتعلق بالاحياء الداخلية فقد طلب الاسرائيليون من الوفد الفلسطيني تخيل السيادة الفلسطينية الكاملة على هذه الاحياء. وتساءلوا ما هي الوظائف وكيفية تأديتها في اطار هذه السيادة المتداخلة مع اسرائيل في مجالات التخطيط، والبناء، في مجال الامن والقانون؟ وكان رد المفاوض الفلسطيني. نحن لا نتصور ولا نتخيل تصورات من منطلق السيادة الفلسطينية على هذه المناطق. وانما نفهم ذلك في اطار المدينة المفتوحة. هناك سيكون تعاون في مجال الكهرباء. وفي مجال

المياه والمجاري في مجال الطرق. والتداخل ايضا يظل قائما في مجال الامن. لكن كل ذلك يتم بعد اقرار السيادة ويتم في اطار السيادة وليس في اطار تقاسم وظيفي يحدده الاسرائيليون.

أما بالنسبة للبلدة القديمة، قال الاسرائيليون، نعم للسيادة الفلسطينية الكاملة على الحي الاسلامي. وكذلك الولاية الكاملة على الحرم، بما في ذلك الامن. وسيادة كاملة لاسرائيل على الحي اليهودي (حائط المبكى) مع نظام خاص للحيين الارمني والمسيحي تحت السيادة الا سرائيلية.. وقد رفض الوفد الفلسطيني كل هذه الطروحات وكان الاخ ابو عمار عليها في اطار رسالة إلى الرئيس كلينتون نصت على ما يلي:

(فخامة الرئيس. نحن نسعى مع فخامتكم للتوصل الى اتفاق سلام شامل حول كافة القضايا، وبالنسبة للمسائل الثلاثة التي تحدثنا عنها، فاني على استعداد للذهاب الى ابعد الحدود، ان كان ذلك ضمن حل يضمن السيادة الفلسطينية على القدس الشرقية، مع الا خذ بعين الاعتبار الاهتمامات الاسرائيلية في الحي اليهودي وحائط المبكى، وضمان بقاء المدينة مفتوحة في اطار تعاون مشترك. وحل عادل لقضية اللاجئين على اساس قرارات الشرعية الدولية، وخاصة قرار)(194 وعلى هذا الاساس فان حدودنا الشرقية هي حدود عام (67 ويجب ان تكون نظيفة على امتداد نهر الاردن والبحر الميت. ولكنني اتفهم ما طرحته في مسائل امنية وانا على استعداد لتواجد دولي، على الحدود الشرقية (البحر الميت وغور الاردن).

ثانيا، نوافق على تبادل الارض بالقيمة وبالمثل، على ان يكون واضحا عدم شمولها أي مساحات تشمل احواضنا المائية، أو ان تخل بوحدة اراضي الضفة الغربية، بما يشمل أي تجمعات فلسطينية. وتفهمنا لاجراء تعديلات ينبع اساسا من موافقة الجانب الاسرائيلي على حدود (4) حزيران 1967، بالنسبة لانهاء الصراع، فان هذه المسألة يجب ان تتم مع تطبيق الاتفاق النهائي، وذلك لحماية مصالحنا، وما دون ذلك فان دولة فلسطين ستكون كاملة السيادة ودون مناطق تحت السيطرة الاسرائيلية في حدود عام 67 (24).

كان الرئيس كلينتون قد دعا إلى انعقاد القمة في يوم 11/7/2000 ،وكان يتطلع إلى الوصول لنتائج ايجابية قبل حلول موعد القمة السباعية للدول الصناعية في اوكيناوا المحدد ابتداؤها في 18/7/2000 أي بعد اسبوع من بدء قمة كامب ديفيد. وفي اللقاء الاول الذي جرى في 11/7 بين الوفود الثلاث قال كلينتون في كلمة افتتاحية: (ان هذه القمة ينظر لها بانها الفرصة الاخيرة. وانه يتوقع من القادة اتخاذ قرارات حاسمة فيها. وانه سيسافر إلى قمة اوكيناوا يوم) 18/7 محددا بذلك السقف الزمني.. ومع الوصول إلى يوم 17/7 بدأ ضغط الزمن يلعب دوره في البحث عن بدائل. وكان الرئيس كلينتون حريصا على ان لا يغادر إلى قمة الدول الصناعية دون النجاح في كامب ديفيد. فقد كانت اوكيناوا، وتوقيتها جزءا لا يتجزأ من استراتيجية كلينتون المتعلقة بالمفاوضات في كامب ديفيد. فالترغيب بالاموال التي يمكن الحصول عليها من قمة الدول الصناعية لصالح بناء الدولة الفلسطينية كان احد اوراق الترغيب الاساسية. وفي ليلة 18/7 طلب كلينتون الاجتماع مع ابو عمار حيث قال له: (انني سأذهب هذا اليوم (فجر 19/7) إلى اوكيناوا)وبالتالي انا اعرض عليك قبولنا بسيادة فلسطينية أوسع في البلدة القديمة، ولا اريد ان اخوض في التفاصيل، وايضا الحرم، يقوم مجلس الامن بتسليمه إلى دولة فلسطين مع المغرب (كونها رئيسة لجنة القدس)وبالنسبة للاحياء الداخلية يمكن التقدم في اطار صفقة إلى مجالات جديدة.. اما بالنسبة للاجئين فلا بد من الوصول إلى حل مرضي للجميع، دون أي تفصيل. اما بالنسبة للحدود فقال دولة فلسطينية على 93 % من الارض المحتلة عام.67 واشار إلى قبوله مبدأ القوات الدولية ومبدأ التبادل دون

تحديد. (وقد جاء رد الاخ ابو عمار على شكل رسالة قال فيها (فخامة الرئيس نثمن جهودك عاليا ولكن هذه المقترحات لا يمكن ان تكون اساسا للحل أو لصناعة السلام والمصالحة التاريخية بيننا وبينهم) (25).

في اللقاء السادس بين الاخ ابو عمار وكلينتون والذي جاء يوم 19/7 وحضره إلى جانب كلينتون كل من ساندي بيرغر مستشار الا من القومي وجورج تنت شو رئيس الا ستخبارات المركزية (CIA) ومادلين اولبرايت وحضره مع الاخ ابو عمار الاخ صائب عريقات والاخ نبيل ابو ردينه.

بدأ كلينتون كلامه مع الاخ ابو عمار بقوله (انا سأغادر بعد ساعات. لقد خيبت آمالي وحطمت كل ما قمت به خلال ثماني سنوات في عملية السلام. انتهى دوري. والافكار التي طرحتها عليكم كانت افكار امريكية. كنت سأحاول اقناع باراك بها. انتم فقدتم فرصة عام 1948 وحرمتم من فرصة عام 1978، والآن تخسرون كل فرصة جديدة. لقد فعلت كل ما في وسعي. وانت تتحمل المسؤولية. وانا اعرف حجم الكارثة التي ستحدث وستمر عشرين سنة على الاقل قبل ان تأتي فرصة اخرى).

واضاف جورج تنت محملا المسؤولية للاخ ابو عمار وقال (انت تحكم على الدولة الفلسطينية بالانتهاء كليا. تحكم باندثار الاقتصاد الفلسطيني، باندثار الشعب الفلسطيني. انتم تعيشون في منطقة، احب ان اقول لك، شعوبها وحدودها قابلة للتغيير والتبديل) (26).

كان مشهدا تاريخيا بالنسبة للاخ ابو عمار الذي استرجع في تلك اللحظات حصار بيروت.. وشعاره الحاسم. "هبت رياح الجنة". فجاء رده بهدوء صاعق كما يلي: (انا اشكركم شكرا جزيلا على كل ما بذلتموه. ولكن انا لن اقبل لنفسي ان ادخل التاريخ كأحد الخونة العرب أو المسلمين الفلسطينيين أو المسيحيين، لا انا ولا أي عربي ولا مسلم ولا مسيحي سيقبل ان يشرع لوجود السيادة الاسرائيلية في القدس. سواء كانت في حارة الارمن، أو المسجد الاقصى أو طريق الآلام. أو كنيسة القيامة. يستطيعون ان يحتلوها بقوة السلاح. ولهم في جنوب افريقيا مثال على ذلك. اننا ضعاف الآن. ولكن بعد عامين أو عشرة أو خمسين أو مئة عام سيأتي من يحررها ويرفع علم بلاده. اذا اردتم التهديد فانا ادعوكم للسير في جنازتي. انا رجل متدين. ولن اسمح ان يكتب عني حتى انني ناقشت بيع ساحة الحرم لاسرائيل. أو الاقرار بوجود هيكل مزعوم تحت الحرم. وانا تحدثت معكم بقلب مفتوح عن سلام تاريخي. ولكن يبدو انكم وهم بعيدين كل البعد عن متطلبات السلام المطلوب. اعانكم الله واعان الاجيال القادمة علما سيحصل في المنطقة) (27).

انفجر اللقاء... وعاد الاخ ابو عمار ليحضر للمغادرة.. ولكن كلينتون اتصل به هاتفيا. وقال له انه مغادر إلى (اوكيناوا) وطلب من الاخ ابو عمار البقاء يومين في كامب ديفيد حتى عودته. وبموافقة الاخ ابو عمار تم تمديد جولة المفاوضات. في كامب ديفيد. ولكن الجانب الاسرائيلي كان مرغما على البقاء.. ورافضا لاي نوع من الاتصالات. واستمر الوضع الى حين عودة الرئيس كلينتون الذي حاول ان يجتمع بنفسه مع وفدي التفاوض حول كل قضية من القضايا، ولكن الامور كانت لا تبشر بانفراج بسبب تعنت الوفد الاسرائيلي في مواقفه المنسجمة مع لاءات باراك. فحول الحدود كان الوفد الفلسطيني مصرا على قرار الشرعية الدولية (242) والانسحاب الى حدود الرابع من حزيران. وكان الاسرائيليون يحاولون فتح مزاد النسبة المؤدية التي وصلت احيانا الى 94% ثم نزلت الى 92% وحسب المزاج. وكذلك بالنسبة للاجئين كان الموقف الفلسطيني متمسكا بالقرار 194 وحق العودة والتعويض وبمسؤولية اسرائيل عن معاناة الشعب الفلسطيني وتهجيره القسري. في حين كان الاسرائيليون مصرين انها قضية انسانية ليس هم

سببها، وانما الجيوش العربية.. وانهم على استعداد للمساهمة في حل القضية مع الاطراف الاخرى لتوطين اللاجئين مع امكانية قبول بضعة آلاف تحت عنوان لم الشمل لاسباب انسانية. وبسبب الطريق المسدود طلب كلينتون اللقاء مع الاخ ابو عمار يوم الاحد 23/7 ولكي يوضح الاخ ابو عمار الامور للرئيس كلينتون قبل ان يلتقي به بعث له رسالة خطية جاء فيها :

(السيد الرئيس
خلال فترة غيابك، وبعد قدومك، وعملا بتوصياتكم، اصدرت تعليماتي لاعضاء الوفد الفلسطيني باجراء الاتصالات فورا والاجتماع مع الجانب الاسرائيلي... وامضينا اليومين الاولين في بحث عقيم حول مسائل شكلية واجرائية لسبب ان الجانب الاسرائيلي يصر على عقد لقاءات غير رسمية، وعملنا كل ما في جهدنا، الامر الذي قاد الى اضاعة الوقت، واعادتنا الى نقطة الصفر، واريد ان اضع الحقائق التالية، والمواقف التالية امامكم:

على صعيد القدس:

a) لا يزال الجانب الاسرائيلي يتحدث عن السيادة على الحرم الشريف او جزء منها مما يؤدي الى اشاعة مناخ غير مسؤول وعبثي، لانهم يعرفون جيدا، استحالة ان يقبل اي منا او ان يقبل أي عربي، مسلم، كان او مسيحي، وكذلك المسلمين والمسيحيين في كل انحاء العالم على نطاق شامل، المساس بوضع هذه الاماكن المقدسة، كما كانت عليها منذ تشيدها قبل عشرات القرون.
b) لا يزال الجانب الاسرائيلي مصرا عند البحث في وضع القدس الشرقية واحيائها العربية على محاولة الفصل بين الارض والسكان، حيث تريد اسرائيل السيادة عليها مقابل اعطاء السكان الوظائف، لا يزال الموقف الاسرائيلي يقوم على اساس تقطيع القدس، وخاصة القدس الشرقية، الى عدد من الاجزاء والانظمة المختلفة، مما يخالف قاعدة الحرص على انها مدينة مفتوحة، وسوف يقود ذلك الى مزيد من التعقيد للوضع القائم على الارض والاضرار بالمواطنين الفلسطينيين، اما فيما يتعلق بقضايا الارض والحدود، والمستوطنات، ورغم اننا ناقشنا بجدية المفاهيم الامنية، الموقف الاسرائيلي تراجع، وعاد الى رفض مبادلة الارض الى جانب تقديم خرائط تقطع اجزاء من الضفة الغربية وفصل شمال الضفة عن جنوبها، وهذه امور تؤكد عدم الجدية في التفاوض، اما موضوع اللاجئين فلا زال يراوح مكانه، حيث رفض الجانب الاسرائيلي حق العودة للاجئين. ورفض تحمل المسؤولية. ويتمسك بمواقفه التقليدية، اننا لا نزال نتمنى ان يتغير هذا المناخ السلبي، وان نعود لبحث جاد ومسؤول في كل المسائل وفق الشرعية الدولية المعروفة، وكما ورد في رسالتنا المؤرخة الى فخامتكم في 16/7/2000، ونعتقد ان اللائحة بالامور التي تعقد الوصول الى حل ايجابي شامل اصبحت واضحة. ونأمل مجددا استمراركم الايجابي، ولا زالت هذه العقبات بمجموعها قائمة) (28) ، ذهب الاخ ابو عمار للاجتماع مع الرئيس كلينتون بعد فترة من ارسال الرسالة.

وحضر اللقاء من الطرف الامريكي مع كلينتون اولبرايت وساندي برغر وجورج تنت ومن الطرف الفلسطيني حضره مع الاخ ابو عمار الاخ ابو علاء، والاخ صائب عريقات والاخ نبيل ابو ردينة. بدأ كلينتون يلخص المواقف، اضاف عبارة السيادة على الضواحي الداخلية، الضواحي الخارجية، البلدة القديمة، قال له الاخ ابو عمار بالنسبة للاماكن المسيحية، هناك اتفاق بيننا وبين البابا. فقال له الرئيس كلينتون، كنا على اتصال مع الفاتيكان والبابا موافق على ان يكون تدويل في القدس. فقال له ابو عمار،

البابا لا يمثل المسيحيين في القدس، البطريك الارذثوكسي هو الذي يمثل، ولا يحق للبابا ان يغير الوضع القائم، بطريك القدس هو البطريك الارثوذكسي وليس بطريك الكاثوليك أو البطريك الانجليكاني خاصتك، ولا يستطيع احد ان ينسى الوضع القائم) (29).

قال له الرئيس كلينتون (اسرائيل قدمت تنازلات كبيرة فيما يتعلق بالقدس، انت موقفك لم يتحرك، انت لم تفاوض، اذهب ودع شعبك يستقبلك استقبال الابطال واجمع الكنائس، التي تريد).

قال له ابو عمار (القدس عاصمتنا المحتلة عام (67) ، ولن اتخلى عن عاصمتي) قال له كلينتون (اعطاك باراك اكثر مما لديك الان) وتابع كلينتون (ان هذه قرارات سيكون لها نتائج وخيمة، الكونغرس سيتخذ قرارات تجاهكم، لنعلن الفشل).

وبدأ اعضاء الوفد الامريكي يتسابقون الى تأكيد موقف كلينتون بالترغيب والترهيب. كانت لحظات هامة جدا ظهر فيها الاخ ابو عمار لهم جميعا بصورة لم يتوقعوها عندما قال للرئيس كلينتون (اريد ان اختصر عليك، لنبقى تحت الاحتلال، فنحن نعرف كيف نقاوم الاحتلال، ولكن نحن شعب لا يخون الامانة، نحن نتفاوض هنا، باسم العرب والمسلمين، والمسلمين والمسيحيين، وليس باسمنا الشخصي)، ودار نقاش طويل شارك فيه اعضاء الوفد الفلسطيني الذين قالوا للرئيس كلينتون ووفده انتم فاوضتم مع الاسرائيليين كفريق واحد، دعوا التاريخ يحكم عليكم انتم، بفشل القمة، انتم فاوضتمونا في بمعيار الدين، فاوضتمونا بمعيار الحاجة الامنية، فاوضتمونا بمعيار السايكولوجيا، وحاجة اسرائيل السايكلوجية، فاوضتونا بمعيار استطلاعات الرأي والسياسة في اسرائيل، فاوضتونا بكل المعايير، وذهبنا إلى حدود بعيدة معكم.

وقال ابو عمار: (انا لن استطيع الا ان اكون الامين على القدس، هل تقبل مني يا فخامة الرئيس ان ابيع الاماكن المسيحية الى الاسرائيليين، والبلدة القديمة وكنيسة القيامة، وطريق الآلام، وبقية الاماكن المسيحية والاسلامية، ليبقى الاحتلال، السيادة غير الوصاية، وحتى لو جاء ذلك من الامم المتحدة) (30).

فقال له كلينتون (هذه سياسة وليس دين) قال ابو عمار (ليكن ما يكون احب ان اقول لك يا سيادة الرئيس، اني قدت ثورة شعب مظلوم، ذهبت إلى ابعد الحدود، سبع سنوات ماضية على حساب وحدة شعبنا الوطنية، على حساب خصومات هائلة مع العالم العربي، ولكن نحن ضعاف الان واثبت التاريخ تغير موازين القوى، وكما قلت لك، سيأتي القوي الذي سيحررها بعد سنتين، أو عشرة أو مئة سنة، وانا لن اخون، وليحكم عليكم التاريخ وعلى اسرائيل، انكم اضعتم الفرصة التاريخية للسلام، القائم على مواقفكم ومواقف الشرعية الدولية) (31).

كان الاخ ابو عمار يتحدث بلغة الانسان المؤمن، والذي يرى الامور امامه، وامام الشعب الفلسطيني العظيم خيار المواجهة.

اكتشف الرئيس كلينتون مدى الخداع والتضليل الذي وضعه فيه باراك ودينس روس، بان عرفات سيستسلم للضغط الامريكي، قال كلينتون لعرفات: (انا لا استطيع الا ان احترم صمودك وايمانك، لقد أخطأنا تقديرك، وقبل ان اذهب غدا اريد فرصة اجلس فيها مع لجنة القدس) (32).

قال له الاخ ابو عمار، هذا صائب عريقات، وحضر من الجانب الاسرائيلي شلومو بنعامي، وخلال اكثر من ثلاث ساعات دار البحث حول القدس، وحول سيناريو انهاء قمة كامب ديفيد. كان الموقف الفلسطيني الذي طرحه الاخ صائب عريقات ينطلق من اعتبار انه في كامب ديفيد بحثت قضايا هامة، لاول مرة وبشكل عميق، وحدث تقدم في كل القضايا، انكسرت محرمات كبيرة في القمة على الرغم من عدم تحقيق أي نجاح كامل. وبهذا الاتجاه لا نقدر ان نقول ان المؤتمر فشل. وبالتالي نقترح ان يصدر بيان يتضمن التقدم الذي حصل. ولكن شلومو بنعامي اعترض، قال: لا، ان هذه القمة فشلت، وبهذا يجب ان يعلن الانهيار،وان المواقف الاسرائيلية التي قدمت جميعها خارج الطاولة، نحن سنعود إلى اسرائيل، فقد انهار معسكر السلام، استقوى معسكر اليمين علينا، واقترح الاخ صائب بيان استمرار المفاوضات. بيان يوظف كل جهد مستطاع حتى 13/9 . كان الاسرائيليون يرفضون بسبب الساحة الداخلية وانهيار التحالف الحكومي. اقترح كلينتون ان يتم حل كل القضايا، وتؤجل القدس، بترتيبات خاصة، انتقالية، ولكن صائب رفض وقال هذا ليس خيار، عرض كلينتون حل معظم القضايا في القدس، وتأجيل المسائل الخلافية، قال صائب هذا ليس بخيار، وعرض كلينتون المواقف في القدس كما تم الحديث بشكل عام، قال صائب انه باسم الوفد الفلسطيني هذه امور ليست مقبولة لدينا، حيث لا يوجد اي شيء جديد، ونحن لم نضيع فرصة هنا بل على العكس، بحثنا بعمق، فاوضنا بجدية ونحن معنيون بالاستمرار في المفاوضات بكل جهد مستطاع. معنا سبع اسابيع او ثمان اسابيع حتى منتصف شهر سبتمبر وهذه الامور المطروحة الان لا يمكن قبولها، وانا اجاوبك باسم الجانب الفلسطيني، ان هذه امور بلا اساس وغير مقبولة. فقال الرئيس كلينتون للاخ صائب. انت عضو في الوفد المفاوض. لست رئيس الوفد الفلسطيني، ارجوك اذهب إلى رئيسك واخبره، ما هي اقتراحاتي. انني اريد جواب من الرئيس عرفات وليس من صائب عريقات.

وضع الاخ صائب عريقات الاخ ابو عمار في صورة الحوار مع كلينتون حول القدس. وحول اقتراحاته قال الاخ ابو عمار يجب ان يرسل له جواب مكتوب حول كل المواقف.

وتضمنت رسالة الاخ ابو عمار للرئيس كلينتون ما يلي:
(فخامة السيد الرئيس كلينتون، أود التأكيد على تقديرنا الكبير لدوركم وجهودكم الايجابية التي اثمرت خلال هذه الحقبة الهامة، ولتصميمكم الذي لمسناه خلال الايام الماضية لتحقيق السلام العادل والدائم، ويذكر تاريخ شعبنا، وجميع شعوب المنطقة هذا الدور واثره، الذي حفر مجراه في حياتها بشكل عميق، لتخليصها من مراحل الحروب والمواجهة والعداء، وارجوا يا سيادة الرئيس ان تستمروا ببذل اقصى جهودكم، حتى نستطيع التوصل إلى العهد الجديد، الذي يسوده السلام الحقيقي. وبالنظر الى موقع القدس الاساسي في العملية السلمية، فاننا نتفق معكم يا سيادة الرئيس، انها تستحق كل الجهود التي بذلت، وكل محاولات البحث عن حلول خلاقة، تضمن ان تكون هذه المدينة المقدسة، قاعدة ومنطلقا لشمول السلام في بلدنا، ومنطقتنا بأسرها، وبيننا وبين اسرائيل. غير ان الاقتراحات التي سمعنها بشأن القدس، لا تؤدي إلى تحقيق هذا الغرض، لانه لا يمكننا القبول باي صيغة تقود إلى اي جزء من السيادة الاسرائيلية على أي جزء من القدس الشرقية بما في ذلك على الحرم الشريف، واي اماكن دينية مقدسة اسلامية ومسيحية اخرى. ان الحل المنشود، لا بد ان يحافظ على وحدة المدينة. ويحول دون تقطيعها إلى عدة اجزاء، أو اخضاعها إلى انظمة متعددة، والحاق الضرر بحياة ابنائها، وهو الامر الذي سيجعل الشعب الفلسطيني يتعامل بشكل سلبي مع نتائج هذه القمة، من هذه العملية. وارجو يا سيادة الرئيس ان اشير بشكل صريح ان فرض سيادة اسرائيل على اماكن مقدسة واجزاء منها اسلامية كانت ام مسيحية سيرفضه العرب المسلمين والمسيحيين. وكذلك المسلمون والمسيحيون على نطاق واسع. كما ان أي حل من هذا النوع، سوف يشعل الاوضاع، وسوف يهدد السلام والاستقرار في المنقطة، وهو الامر

الذي لا نتوخاه نحن ولا انتم نتيجة لهذه العملية. ان عدم قبولنا بهذه المقترحات حول القدس لن يصرفنا ولو للحظة واحدة عن التمسك بالدور البارز الذي واصلتم القيام به، مؤكدين الحرص على ان تستمر جهودكم من اجل الوصول إلى حل شامل وعادل ودائم، انطلاقا من الشرعية الدولية، وارتكازا لها، ورغبتنا المشتركة في احلال السلام الراسخ والمتوازن) (33).

لم تكن ساحة المعركة التي خاضتها القدس محصورة في كامب ديفيد. لقد انتشرت على مستوى الحرب الطاحنة التي شارك فيها العديد من ملوك ورؤساء العرب. والكنائس المسيحية والامم المتحدة.. وكانت محاولات الرئيس كلينتون الاستقواء على الموقف الفلسطيني من خلال القادة العرب قد فشلت حيث كان موقف الاردن والسعودية ومصر والمغرب منسجما مع الموقف الفلسطيني الذي يرفض أي شكل من اشكال السيادة لاسرائيل على أي بقعة من القدس المحتلة عام 67.

كان الرئيس كلينتون يحاول ان يوهم العرب والمسلمين بان اسرائيل قدمت الكثير بشأن القدس.. وان السيادة عليها للفلسطينيين ولكن عرفات يرفض، وكان الوفد الفلسطيني بالمقابل يضع الاخوة العرب والمسلمين والامم المتحدة بمجريات الامور اولا بأول. وعندما ادركوا ان الحرم الشريف مستهدف من الصهاينة كانت مشاركتهم في المعركة هي الدعم المطلق للموقف الفلسطيني تجاه القدس.

لقد انتهت في كامب ديفيد فكرة توسيع القدس ثم تقسيمها بحيث تصبح ابو ديس هي القدس الجديدة وهي العاصمة. وسقطت كل محاولات بيلين تسويق هذه الاكذوبة باستخدام اسم الاخ ابو مازن. ولم تعد سيناريوهات الحل الذي توصل اليه الاكاديميون الفلسطينيون والاسرائيليون في ستوكهولم تحت عنوان اتفاق ابو مازن بيلين ساري المفعول.. لقد فرضت حقائق اخرى نفسها على الساحة وكانت القدس هي سيدة الموقف.

كان الاخ ابو عمار يدرك ان الاسرائيليين ليسوا جاهزين لانجاز سلام حقيقي. سلام الشجعان كما يردد دائما. وكان يدرك ايضا ان الادارة الامريكية، وخاصة الصهاينة فيها، قد اوقعوا كلينتون في فخ امكانية ان تلعب علاقاته الودية مع الرئيس عرفات دورا في اقناعه بقبول الحل المطروح الذي يستطيع باراك من خلاله ان يستمر في الحكم وفي الحفاظ على التحالف. كانت فكرة القمة بهدف انقاذ باراك وحكومته تطغى على فكرة انقاذ عملية السلام. وكانت القدس هي السيف الفاصل غير القابل للانحناء.

لقد لعبت القدس في المعركة دورا اتاح لها ان تفتح ملفات القضايا الاخرى جميعها ما عدا قضية اللاجئين. فقد ظلت هذه القضية عصية على الكسر او التقدم، حيث انها كانت معركة الحق المباشر مقابل الباطل المباشر. معركة بين الحق المطلق حسب قرارات الشرعية الدولية وخاصة القرار 194 الذي يؤكد على حق العودة والتعويض للشعب الفلسطيني وبين باطل العدوان الاسرائيلي المطلق الذي قام بعملية التهجير القسري والذي ارتكب مجازر في دير ياسين والطنطورة وغيرها ليؤكد هذه الحقيقة. وقد ا صبحت ادبيات المؤرخين الاسرائيليين الجدد تشير بالوثائق الدامغة على مسؤولية اسرائيل عن عملية التهجير القسري. وضرورة تحملها المسؤولية التاريخية على جريمة التهجير والتزامها بتنفيذ حق العودة والتعويض للاجئين الفلسطينيين.

وبقي الاصرار الاسرائيلي على موقفه بان الحديث عن حق العودة هو امر محرم ويعادل اعلان حرب جديدة تهدف الى تدمير اسرائيل، وكل ما طرحوه هو الاستعداد لابداء الاسف لما جرى والاستعداد

للمساهمة مع المجتمع الدولي في دفع تعويضات للتوطين. اضافة الى السماح بعودة بضعة آلاف في اطار لم شمل العائلات لاسباب انسانية وخلال عشر سنوات.

في موضوع الارض والحدود حيث كانت الخرائط الاسرائيلية جاهزة للاحتمالات كما اشرنا. كان هنالك ترابط بين درجة التنازل على نسبة الاراضي التي يريدون ضمها وبين التوصل الى حل حول القدس. وهنا لعبت القدس دور السيف الذي اخترق كثيرا من خرائط ولاءات باراك. واصبح الحديث يدور حول الانسحاب من جميع الحدود ومعظم الاراضي، باستثناء بعض المناطق المتعلقة بالامن. وكان الموقف الفلسطيني يرفض مبدئيا الحديث عن خرائط ونسب مؤوية قبل الاقرار الاسرائيلي بالالتزام بالانسحاب الى حدود الرابع من حزيران. وان أي تبادل اراضي يتم من خلال مفاوضات بين دولتين مستقلتين متجاورتين في اطار ترسيم الحدود وبالاعتماد على قرارات الشرعية الدولية وسيادة القانون الدولي.

سادسا: الدولة بين الجسر والسد

أصبحت الدولة الفلسطينية موضوع نقاش محلي واقليمي مع بروز الدعوة الصريحة إلى اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. ولقد اصبحت الشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلة ضرورة ملحة في قاموس العمل السياسي والنضالي الفلسطيني منذ صدور وعد بلفور، الذي حدد بشكل واضح تبني بريطانيا لمشروع انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين. وقد اشار نص الوعد المشؤوم إلى الشعب الفلسطيني، المالك الاصيل للارض والذي يشكل الغالبية العظمى، كمجرد اقلية سكانية وصفت بالطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين. وقد تكرم الوعد!!، الذي اعطاء من لا يملك لمن لا يستحق، بعدم الانتقاص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها هذه الطوائف.

كان التوجه الوحدوي لدى الشعب الفلسطيني طاغيا خلال النضال للتحرر من الاستعمار التركي. ولكن بروز النقيض الصهيوني الذي كان يستهدف شطب الشعب الفلسطيني، والذي ردد الصهاينة انه (ليس له وجود، وان فلسطين ارض بلا شعب لشعب بلا وطن)، هذا البروز فرض التميز الفلسطيني في اطار الوحدة الشاملة.

كانت الجمعية الاسلامية المسيحية اول من عبر عن موقف الاستقلال الفلسطيني الداخلي ضمن الوحدة. وقد جاء ذلك في المذكرة التي تقدمت بها الجمعية إلى معتمدي الدول في القدس، والى الحاكم العسكري البريطاني في 24 آذار 1919 والتي قالت فيها (حيث ان الدول العظام قد منحت بموجب النشرة الانجليزية الفرنسية (التصريح البريطاني الفرنسي في 7 تشرين ثاني/ نوفمبر 1918) الاختيار للشعوب المحررة تشكيل حكومات تبني سلطتها على اختيار الاهالي الوطنيين. ولهذا فنحن نطلب بلسان عموم الاهالي ان يكون لفلسطين حكومة دستورية مستقلة استقلالا داخليا، تتأسس على اختيار الاهالي الوطنيين، وتسن لنفسها قوانين خاصة بها وفق لرغائب سكانها. مرتبطة بسياسة سوريا العربية المستقلة استقلالا تاما. واننا نطالب منع المهاجرة الصهيونية إلى فلسطين. وان لا يمس استقلالنا الداخلي باية صورة كانت) (34).

جاءت الدعوة الفلسطينية الصريحة بانشاء الدولة عندما اندلعت الثورة الوطنية الكبرى في فلسطين عام 1936 ضد الانتداب البريطاني والغزو الصهيوني. وقد عبر عن هذا الموقف البيان الذي اصدرته قيادة

الثورة العربية العامة في فلسطين في 28 آب 1936، والذي حددت فيه طبيعة الدولة التي تنشأ بالكفاح وقوة السلاح، الذي يؤدي إلى: (سقوط الحكم الاجنبي الحاضر في فلسطين لمنافاته حقوق الشعب المشروعة. وقيام حكومة ثورية مؤقتة تستمد وجودها من ارادة الامة، الى ان تنسحب الجيوش البريطانية. وتمنع الهجرة اليهودية منعا باتا. وتخلي الجماعات التي هبطت إلى فلسطين على اساس وعد بلفور الباطل. ويقوم مجلس تأسيسي بارادة الشعب يضع دستورا للبلاد يعين شكل الدولة. وتقوم بمقتضاه حكومة وطنية مسؤولة امام مجلس نيابي تنتخبه الامة انتخابا حرا) (35).

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية وبداية بروز الولايات المتحدة في موقع زعامة الامبريالية العالمية، بدأت الحركة الصهيونية تتجه نحو تفعيل الدور الامريكي لتحقيق اهدافها معتمدة على ما لليهود من نفوذ في الولايات المتحدة.

وضعت الولايات المتحدة كل ثقلها من اجل تمرير مشروع قرار التقسيم رقم (181) في الجمعية العامة للامم المتحدة. الموقف منسجما مع المخططات الصهيونية والامبريالية التي مارست ضغوطها في كل الاتجاهات. ولكن قيام الدولة الفلسطينية المستقلة، حسب قرار التقسيم كان يتعارض مع الا هداف الاستراتيجية للحركة الصهيونية. فقيام هذه الدولة يعني انعدام التوسع ويعني تقييد الهجرة. وستكون الوحدة الاقتصادية التي نص عليها القرار (181) عبئا على الدولة اليهودية وليس لمصلحتها. ومن اجل تعطيل التنفيذ الدقيق للقرار الاممي، عمدت الحركة الصهيونية إلى عقد صفقتها السرية مع ملك الاردن، عبدالله بن الحسين بن علي قبل اقرار التقسيم، ففي 17/ نوفمبر 1947 قام وفد من الوكالة اليهودية، يضم غولدامائير (مايرستون) وهي آنذاك مديرة المكتب السياسي للوكالة اليهودية في القدس، برافقها الياهو ساسون، رئيس القسم العربي في الدائرة السياسية للوكالة، وعيزرا دانين، احد العاملين في ذلك القسم. بمقابلة الملك عبدالله ملك شرق الاردن. وتوصلوا معه إلى اتفاق تفاهم يقضي بخطوطه العامة بان يقوم الملك بضم الجزء العربي من فلسطين إلى مملكته. بينما يقوم اليهود بتأسيس دولتهم على الجزء المخصص لهم من فلسطين وفق قرار التقسيم، دون ان يعارض عمليا أي من الطرفين الطرف الآخر، أو يحاول عرقلة تنفيذ مخططاته (36).

كان مخطط بن غوريون يقوم على اساس منع قيام الدولة الفلسطينية. اضافة إلى انه كان يدرك ان عليه القيام بفرض امر واقع يوسع من خلاله المساحة المقررة للدولة اليهودية ويحقق طرد اكبر عدد ممكن من الفلسطينيين، وقد تحقق له ذلك من خلال توسيع الاعتداءات على القرى والمدن الفلسطينية الموجودة ضمن المناطق المخصصة للدولة اليهودية أو تلك المناطق الذي وضع في مخططه ان يغتصبها من المناطق المخصصة للدولة الفلسطينية، منطلقا ان الملك عبدالله لن يحاسبه على الحدود، وانما الهدف المشترك هو منع قيام الدولة الفلسطينية.

قام بنغوريون في اطار هذا المخطط بعملية محو القرى وتهجير سكانها، ولكي يجعل امكانية التعايش المستقبلي اكثر صعوبة رتب بالاتفاق مع عصابات شتيرن والارغون مذبحة دير ياسين التي تمت تحت رعاية الهاغاناه. وقد لعبت اصداء هذه المذبحة التي كانت ضمن الخطة (دالت) اثرا مباشرا في ترحيل مئات الآلاف من اهالي المدن والقرى الفلسطينية.
ومقابل خطة بنغوريون التي تتطلع إلى السيطرة على كل ارض فلسطين تحت عنوان (ارض اسرائيل) انسجاما مع مفهومه للوطن القومي اليهودي الذي نص عليه وعد بلفور، كان هنالك الموقف الفلسطيني الذي لم يسلم للغزو الصهيوني، ويتمسك بالحق التاريخي والطبيعي للشعب الفلسطيني في كل ارض

فلسطين. وقد عبر هذا الموقف عن نفسه من خلال المؤتمر الوطني الفلسطيني الذي عقد في غزة في الاول من اكتوبر عام 1948 معلنا استقلال فلسطين كما اعلن عن تشكيل حكومة عموم فلسطين برئاسة احمد حلمي عبد الباقي. ولكن هذا المشروع تم اجهاضه من خلال الموقف العربي الذي وافق على ضم الضفة الغربية إلى الاردن تحت عنوان (الوديعة) كما الحق قطاع غزة بمصر تحت الحكم العسكري.

ولم يعد موضوع الدولة الفلسطينية مطروحا وتحولت مشاريع التسوية للبحث عن حل لمشكلة اللاجئين. وعندما حاولت اسرائيل الحصول على عضوية الامم المتحدة رفض مجلس الامن طلبها لانها لم تتقيد بميثاق الامم المتحدة وتنفيذ قراراتها، التي هي شرط القبول في عضويتها. وهذا يعني ان على اسرائيل ان تنفذ قرار التقسيم رقم (181) وقرار حق العودة رقم (194). ولاجل الحصول على العضوية لاسرائيل في الامم المتحدة لعب المندوب الامريكي في لجنة التوثيق الدولية بورقة الدولة الفلسطينية تكتيكيا من خلال الدعوة إلى لقاء تم في لوزان في 16 نسيان 1949 شاركت فيه حكومات كل من مصر، وسوريا، ولبنان، والاردن بمشاركة مندوب اسرائيل ولجنة التوثيق الدولية. وقد اعلن الاسرائيليون في المؤتمر (استعداهم لتوقيع ميثاق ينص كاسس للمباحثات:

1. احترامهم الحدود المقررة للتقسيم مع بعض التعديلات التي تقتضيها الاعتبارات الفنية.
2. موافقتهم على تدويل القدس.
3. موافقتهم على عودة اللاجئين وتصرفهم باموالهم واملاكهم وسائر حقوقهم وعلى التعويض على الذين لا يرغبون في العودة منهم) (37).

وقد تم توقيع اليهود ومندوبي الدول العربية إلى جانب توقيع لجنة التوثيق الدولية وذلك في 11/ايار/ 1949، وهو نفس اليوم الذي كانت تجتمع فيه الجمعية العامة للامم المتحدة. والتي اقرت ما يلي:
(إن الجمعية العامة اذ تأخذ علما باعلان دولة اسرائيل انها تقبل دون تحفظ التزامات ميثاق الامم المتحدة وتعمل لتنفيذها منذ اليوم الذي تصبح فيه عضوا في الامم المتحدة. واذ نذكر بقراريها المؤرخين في 29 نوفمبر 1947 ، وكانون الاول . 1948 واذ نلاحظ البيانات التي قدمها ممثل حكومة اسرائيل امام اللجنة السياسية الخاصة بشأن تنفيذ القرارين.فقد تقرر قبول اسرائيل عضوا في الامم المتحدة) (38).

وعندما جاء دور الصهاينة في تطبيق الالتزام فقد توقفوا طويلا عند البند الاول الذي يقر بالموافقة على اجراء تعديلات في الحدود المذكورة في قرار التقسيم. فكان اول ما طالبوا به هو ضم قطاع غزة إلى دولتهم لتصبح حدودها الجنوبية مع مصر الحد الدولي لها، مقابل ذلك توافق على اعادة اللاجئين الذي يقيمون في قطاع غزة. كما طالبوا بتعديل الحدود في الشمال في لبنان لتصل إلى الليطاني. وتمسكوا بان تكون المفاوضات مباشرة وثنائية بينهم وبين كل دولة عربية على حده. وقد رفض العرب ذلك. ووصلت اللجنة إلى طريق مسدود ولكي تخرج اسرائيل من مأزقها. قام المندوب الامريكي بطرح ورقته التكتيكية التي تتحدث عن الدعوة لاقامة حكومة عربية في القسم العربي المعينة حدوده في قرار التقسيم. وقد جاء هذا المشروع التكتيكي ليذكرنا بما يجري هذه الايام من مواقف امريكية تهدف إلى الانتزاع التدريجي للحقوق الفلسطينية تحت عناوين ترغيبية لا تلبث ان تتحول إلى سراب. ولاهمية المشروع نعرضه نصا كما يلي:

1. اقرار مشروع التقسيم وحدوده مع بعض التعديلات الفنية.
2. اعادة اصحاب الاملاك العرب الى منازلهم في القسم اليهودي، وقد قدر عددهم بنحو ربع مليون على ان يوطن باقي اللاجئين في القسم العربي.
3. اعادة الاملاك العربية الموضوعة تحت الحراسة او المصادرة الى اصحابها وكذلك اعادة الاثاث

والسلع العربية المصادرة واطلاق اموال العرب المجمدة والمحجوزة.
4. تأليف لجنة دولية يشترك فيها العرب واليهود لاعداد جداول بالخسائر التي لحقت بالفريقين.
5. تعهد اليهود بمنح العائدين من الفلسطينيين نفس الحقوق التي يتمتع بها اليهود دون اي تمييز او ضغط او محاسبة.
6. جعل منطقة القدس دولية وتقسيمها الى ثلاث مناطق عربية ويهودية ومقدسة، ووضع الاماكن المقدسة تحت الاشراف الدولي المباشر وادارة المنطقتين العربية واليهودية بواسطة سلطات محلية عربية ويهودية تحت اشراف هيئة الامم.
7. تعديل الحدود بحيث تكون يافا ضمن القسم اليهودي مع ضم بعض اقسام من مرج ابن عامر والجليل الشرقي الى هذا القسم وبحيث تضم المجدل الى القسم العربي وتعاد الحمة الى سوريا وتكون حدود الهدنة الاردنية اليهودية حدوداً رسمية.
8. قيام حكومة عربية في القسم العربي المعينة حدوده في قرار التقسيم بعد التعديلات المقترحة وفقاً لهذا الاقتراح.

واعلن المندوب الامريكي بعد تلاوة اقتراحه استعداد حكومته لمنح مساعدات مالية لتوطين اللاجئين وتفريج كربهم (39).

وقد بلع العرب الطعم الامريكي بسهولة فاستقبلوا الاقتراح الامريكي بالاستبشار والارتياح. وتلقته الاوساط العربية الرسمية وغير الرسمية، التي استسلمت للواقع المرير معتبرة اياه مخرجاً يحفظ بعض ماء الوجه ويحقق بعض الآمال ويعيد بعض ما ضاع. وتمت الدعوة لاجتماع فلسطيني كبير في رام الله في 21 تموز 1949 وافق مبدئياً على المشروع الامريكي وايد تشكيل حكومة فلسطينية، وكلف راغب النشاشيبي بتشكيلها وهو معروف بصلته الوثيقة بالملك عبد الله وبتواطئه معه ضد الحركة الوطنية الفلسطينية، كان واضحاً ان ما قصده المشروع الامريكي هو خلق حكومة موازية لحكومة عموم فلسطين وتحريك الملك عبد الله ليكون البديل الشرعي للحكومتين خاصة وان خطوات ضم الضفة الغربية كانت قد قطعت اشواطاً كبيرة وصلت حد المشاركة الفلسطينية في الحكومة الاردنية، كما ان دعاة رفض الاقتراح الامريكي رأوا فيه الخطورة من تدويل القدس وميلاد حكومة فلسطينية هزيلة وعميلة "لاسرائيل" مما جعل المشروع يفشل على يد العرب وتخرج "اسرائيل" رابحة ويخرج راغب النشاشيبي من هذا المولد وقد عينه الملك عبد الله وزيراً استحدثت له وزارة جديدة تحت اسم وزارة شؤون اللاجئين في حكومة المملكة الاردنية الهاشمية، واخذت الجامعة العربية موقفاً مسانداً للاردن بتوقف دعوة حكومة عموم فلسطين الى اجتماعاتها ثم تبنت اللجنة السياسية للجامعة العربية في 12 حزيران 1950 صيغة تعتبر فيها الضفة الغربية وديعة تحت يد المملكة الاردنية الهاشمية وانطوى بذلك موضوع الصراع الفلسطيني الاسرائيلي. ليسود مصطلح الصراع العربي الاسرائيلي، صراع الحدود بين بعض الدول العربية واسرائيل. ومع العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، وما تبعه من احتلال لقطاع غزة وبداية مشروع الكفاح المسلح ضد الاحتلال الذي انتهى في آذار 1957، بدأ المشروع الوطني الثوري الفلسطيني يتبلور من خلال الدور الرئيسي للشعب الفلسطيني في معركة تحرير فلسطين. لم تكن الدولة الفلسطينية جزءا من البرنامج النضالي للاحزاب والحركات القائمة سواء كانت القومية أو الاسلامية حيث انها تعتبر ان الوحدة هي طريق تحرير فلسطين التي ستكون جزءا من الدولة العربية القومية أو جزءا من الدولة الاسلامية، ولكن الخصوصية التي حددتها فتح منذ نشوئها تنطلق من ضرورة تميز الدور الفلسطيني في اطار النضال القومي. وطرحت في هيكل البناء الثوري مراحل تطور الثورة ومؤسساتها وحدوث مرحلة (انشاء الكيان الفلسطيني). كأحد هذه المراحل. وطالبت في مطلع الستينات في مرحلة الوحدة العربية من مصر

وسوريا إلى ان يتم تجسيد الكيان الفلسطيني في الاراضي الفلسطينية غير المحتلة من اسرائيل والتي هي وديعة لدى الاردن (الضفة الغربية) أو ملحق بمصر (قطاع غزة). وقد ادى هذا التحرك إلى انشاء منظمة التحرير الفلسطينية التي وضع ميثاقها القومي في المادة الرابعة والعشرين ما نصه (لا تمارس هذه المنظمة اية سيادة اقليمية على الضفة الغربية في المملكة الاردنية الهاشمية، ولا قطاع غزة ولا منطقة الحمة. وسيكون نشاطها على المستوى القومي الشعبي في الميادين التحريرية والتنظيمية والسياسية والمالية).

بعد عدوان حزيران واحتلال اسرائيل لجميع ارض فلسطين تحول الطرح مباشرة إلى الحديث عن الدولة الفلسطينية. وتطور عام 69 للحديث عن الدولة الديمقراطية الفلسطينية. واصبح جزءا من ادبيات الحركة الوطنية الفلسطينية التي عدلت الميثاق القومي إلى الميثاق الوطني الفلسطيني.

وقد تم الغاء المادة (24) عند وضع الميثاق الوطني عام 1969 بعد ان تسلمت فتح وفصائل الثورة الفلسطينية زمام السيطرة على منظمة التحرير الفلسطينية. واصبح الحديث عن حق تقرير المصير يعني الدولة الفلسطينية المستقلة. واصبح الميثاق الوطني منسجما مع برنامج النضال الفتحوي بشكل كامل.

كانت اسرائيل قد حققت على الارض السيطرة على كل ارض فلسطين. ولكنها وجدت انها ليست ارضا بلا شعب. وانها لا تستطيع ان تعتبر ان كل السكان على ارض فلسطين مواطنين في الدولة، فهذا يعني دولة ثنائية القومية. واصبح مطروحا امام الاحزاب الاسرائيلية موضوع الخروج من مأزق التناقض بين دولة اليهود على ارض اسرائيل الكاملة وبين دولة ثنائية القومية على هذا الارض، أو التخلص من بعض الارض باعادتها إلى الاردن ضمن ما اطلق عليه الحل الوسط الاقليمي، والسيطرة المباشرة على اكبر مساحة ممكن من الضفة الغربية.

في هذه الاثناء كانت الثورة الفلسطينية المسلحة بقيادة حركة فتح تتطلع إلى تحقيق التحرير الكامل للتراب الوطني الفلسطيني واقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية وعاصمتها القدس. وهي الدولة التي نص حولها النظام الاساسي لحركة فتح المادة 13 كما يلي : (اقامة دولة فلسطينية ديمقراطية مستقلة ذات سيادة على كامل التراب الفلسطيني. وتحفظ للمواطنين حقوقهم الشرعية على اساس العدل والمساواة دون تمييز بسبب العنصر او الدين أو العقيدة وتكون القدس عاصمة لها).

احتدم الصراع بين استراتيجيتين متناقضتين، استراتيجية التحرير الكامل للتراب الوطني الفلسطيني واقامة الدولة الديمقراطية المستقلة التي تبنتها حركة فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية من جهة، واستراتيجية دولة اليهود على ارض (اسرائيل الكبرى) كما يسمونها، وتشمل كل الارض الفلسطينية.

ولم تفلح كل محاولات الامبريالية الامريكية والصهيونية العالمية تصفية الثورة الفلسطينية بشكل يسمح لاسرائيل ان تحقق اهدافها الكاملة. ولم تفلح كل عمليات الثورة الفلسطينية المسلحة ان تلحق هزيمة بالكيان الصهيوني تجعله يسلم للثورة بتحقيق اهدافها.

وعمدت الصهيونية والامبريالية متمثلة في سياسة كيسنجر الصهيوني ووزير خارجية امريكا إلى انتهاج وسيلة تجعل وجود الثورة الفلسطينية المسلحة عبئا على الانظمة العربية وليس على الكيان الصهيوني. فكان قراره الشهير الذي اطلقه في حزيران 1970 والذي تم ابلاغه للثورة عن طريق كمال

ادهم رجل المخابرات السعودية الذي اطلع الاخ الشهيد خالد الحسن (ابو السعيد) على القرار ناصحا حركة فتح ان تأخذ احتياطاتها.

وقد استطاعت الولايات المتحدة ان تلحق الاذى الكبير بالثورة الفلسطينية من خلال قرار كيسنجر، سواء الذي يطالب بالتصفية المادية للثورة الفلسطينية المسلحة، أو محاولته لتصفيتها المعنوية بوضع شروط عدم التعامل مع المنظمة الا اذا اعترفت بالقرار (242) وبحق اسرائيل في الوجود، وبنبذ ما يسمونه بالارهاب، ويقصدون الكفاح المسلح.

وصمدت الثورة. ولكن كل عملياتها العسكرية وتضحياتها لم تفلح في فرض تراجع صهيوني عن ايديولوجية حزب الليكود، الذي وصل إلى السلطة وحقق اتفاق كامب ديفيد مع مصر واصبح سقف الطموح الفلسطيني المشروع بالنسبة للكيان الصهيوني هو الحكم الذاتي. لسكان الضفة الغربية وقطاع غزة، على ان تحل قضية اللاجئين بتوطينهم في البلدان العربية.

كانت منظمة التحرير قد تبنت بعد حرب اكتوبر مشروع بناء السلطة الوطنية الفلسطينية على أي جزء يتم تحريره أو انسحاب العدو الصهيوني عنه. كانت تلك خطة اعتراضية للتصفية التي كانت مقررة من قبل كيسنجر تتم على ايدي العرب.

وعندما فشلت محاولات تصفية الوجود الفلسطيني المسلح على الساحة اللبنانية من خلال السلطة اللبنانية. كما فشل النظام السوري في السيطرة على القرار الفلسطيني، كان على اسرائيل نفسها ان تقوم بضرب لبنان في محاولة لضرب البنية التحتية لمنظمة التحرير الفلسطينية، على طريق تصفيتها المادية والمعنوية الشاملة.

كانت معركة صمود بيروت هي التي اعادت الاعتبار لمنظمة التحرير الفلسطينية وللكفاح المسلح الفلسطيني. وقد كان رد فعل الرئيس الامريكي ريغان بعد انسحاب منظمة التحرير من بيروت في الاول من سبتمبر ايلول 1982، عن خطته التي نصت حول القضايا الاساسية على الشكل التالي:

(وكما جاء في اتفاقيات كامب ديفيد، يجب ان تكون هناك فترة من الزمن يتمتع خلالها السكان الفلسطينيون في الضفة الغربية وقطاع غزة باستقلال ذاتي كامل في شؤونهم الخاصة. ويجب ان يعطى اعتبار كاف لمبدأ الحكم الذاتي لسكان الاراضي المحتلة وللمشاغل الامنية المشروعة للاطراف المعنية.

وهدف الفترة الانتقالية التي تستمر خمسة اعوام، والتي ستبدأ بعد اجراء انتخابات حرة لاختيار سلطة فلسطينية للحكم الذاتي، هو ان تثبت للفلسطينيين ان في وسعهم ادارة شؤونهم، وان مثل هذا الاستقلال الذاتي لا يشكل تهديدا لامن اسرائيل.

ان الولايات المتحدة لن تؤيد استغلال اية اراض اضافية بغرض اقامة مستوطنات خلال الفترة الانتقالية. فالمزيد من النشاط الاستيطاني غير ضروري على الاطلاق لامن اسرائيل، ويقلل فقط ثقة العرب في امكانية التفاوض بانصاف وحرية حول النتيجة النهائية.

انني اريد ان يفهم الموقف الامريكي فهما جيدا، ان الهدف من هذه الفترة الانتقالية هو انتقال السلطة

بصورة سلمية ومنظمة من اسرائيل الى السكان الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة. وفي الوقت ذاته يجب الا يتعارض هذا النقل مع متطلبات اسرائيل الامنية.

وفيما وراء هذه الفترة الانتقالية، ونحن ننظر إلى مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة، يتضح لي انه لا يمكن تحقيق السلام عن طريق اقامة دولة فلسطينية مستقلة في هاتين المنطقتين. كما لا يمكن تحقيقه عن طريق ممارسة اسرائيل لسيادتها او سيطرتها الكاملة على الضفة الغربية وقطاع غزة.

ولذلك فان الولايات المتحدة لن تؤيد دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ولن تؤكد ضمهما او السيطرة الكاملة عليهما من جانب اسرائيل.

غير ان هناك سبيلا آخر إلى السلام. اذ يجب بطبيعة الحال ان يتم الاتفاق على تحديد الوضع النهائي لهاتين المنطقتين عن طريق مفاوضات تقوم على الاخذ والعطاء. الا ان الولايات المتحدة ترى بحزم ان حكما ذاتيا من جانب الفلسطينيين للضفة الغربية وقطاع غزة مرتبط بالاردن يوفر فرصة لسلام دائم وعادل وثابت.

ونحن نبني موقفنا بصورة متوازنة على مبدأ ان النزاع العربي الاسرائيلي يجب ان يحل بمفاوضات تنطوي على مبادلة الارض بالسلام. وهذه المبادلة منصوص عليها في قرار مجلس الامن الدولي رقم 242 الذي تم دمجه بدوره بجميع جوانبه في اتفاقيات كامب ديفيد. وما زال قرار مجلس الا من رقم 242 صالحا في مجمله كحجر الاساس لجهود السلام التي تبذلها الولايات المتحدة في الشرق الاوسط. ان موقف الولايات المتحدة يقوم على اساس انه في مقابل احلال السلام تنطبق المادة الخاصة بالانسحاب في القرار 242 على جميع الجبهات بما في ذلك الضفة الغربية وقطاع غزة. وعندما يجري التفاوض بين الاردن واسرائيل حول مسألة الحدود فان رأينا حول المدى الذي ينبغي به مطالبة اسرائيل التخلي عن الارض سيتأثر إلى حد كبير بمدى السلام الحقيقي والتطبيع والترتيبات الامنية المطروحة في المقابل. غير مجزأة. الا ان وضعها النهائي يجب ان يتقرر بالتفاوض.

وقد اكد ريغان في رسالته إلى رئيس الوزراء الاسرائيلي بيغن، رفضه تكوين دولة فلسطينية وان النتيجة النهائية تحددها المفاوضات. كما رفض تأييد حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني لان مدلوله في ازمة الشرق الاوسط يعني تكوين دولة فلسطينية) (40).

لم يكن باستطاعة منظمة التحرير قبول مشروع ريجان الذي يتنكر لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره. ولذلك جاء قرار المجلس الوطني في دورته السادسة عشرة المنعقدة في الجزائر من 14-22 شباط فبراير 1983 ينص كما يلي: (ان مشروع ريغان في منهجه ومضمونه لا يلبي الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني. لانه يتنكر لحق العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ولمنظمة التحرير كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني ويتناقض مع الشرعية الدولية. ولذلك يعلن المجلس الوطني الفلسطيني رفض اعتباره اساسا صالحا للحل العادل والدائم لقضية فلسطين والصراع العربي الصهيوني) (41).

اعتبر رئيس الاتحاد السوفيتي آنذاك السيد اندروبوف ان قرار المجلس الوطني الفلسطيني لا يعبر عن رفض مشروع ريجان بشكل واضح وسافر. وان مجرد رفض اعتباره اساسا صالحا يحمل في طياته

محاولة تقرب من م. ت. ف إلى الولايات المتحدة، زعيمة الامبريالية العالمية. وقد ادى الموقف السوفيتي، اضافة إلى الموقف السوري من قرار المجلس بشأن (التمسك بالقرار الوطني الفلسطيني المستقل وحمايته ومقاومة الضغوط التي تستهدف النيل من الاستقلالية من اية جهة كانت) (42) إلى احداث الشرخ داخل منظمة التحرير الفلسطينية وداخل حركة فتح ذاتها. مما ادى إلى معارك الحصار في طرابلس. وما تبعها من محاولات التأقلم مع مشروع ريغان من خلال عقد المجلس الوطني الفلسطيني في دورته 17 المنعقدة في عمان في شهر تشرين الثاني/نوفمبر، حيث اعلن الملك حسين مبادرته خلال خطابه في المجلس الوطني على الشكل التالي :(ان الموقف الدولي بعامة يرى انه بالامكان استرجاع الارض المحتلة من خلال صيغة اردنية - فلسطينية ترتب على الطرفين التزامات يعتبرها العالم ضرورية للوصول إلى تسوية سلمية عادلة ومتوازنة. فاذا توفرت لديكم القناعة بهذا الخيار وفي ما بيننا من اواصر كاسرتنا وما يجمعنا من وحدة المصير والغايات فنحن مستعدون للسير معا على هذا الطريق والخروج للعالم بمبادرة مشتركة) (43). وقد استمرت المباحثات الفلسطينية الاردنية إلى ان تم التوصل إلى اتفاق عمان في 11 شباط 1985 الذي اشار إلى الدولة الفلسطينية كضرورة لتحقيق الاتحاد الكونفدرالي الفلسطيني الاردني. حيث جاء في نص هذا الاتفاق ما يلي (اتفقت حكومة المملكة الاردنية الهاشمية ومنظمة التحرير الفلسطينية على السير معا نحو تحقيق تسوية عادلة لقضية الشرق الاوسط. ولانهاء الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية المحتلة بما فيها القدس وفق الاسس والمبادئ التالية :

1. الارض مقابل السلام. كما ورد في قرارات الامم المتحدة بما فيها قرارات مجلس الامن.
2. حق تقرير المصير، يمارس الفلسطينيون حقهم الثابت في تقرير المصير عندما يتمكن الاردنيون والفلسطينيون من تحقيق ذلك ضمن اطار الاتحاد الكونفدرالي العربي المنوي انشاؤه بين دولتي الاردن وفلسطين.
3. حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين حسب قرار الامم المتحدة.
4. حل القضية الفلسطينية من جميع جوانبها.
5. وعلى هذا الاساس تجري مفاوضات السلام في ظل مؤتمر دولي تحضره الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن الدولي، وسائر اطراف النزاع بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ضمن وفد مشترك). (44)

لم يعمر الاتفاق طويلا فقد قام الاردن بالغائه من جانب واحد عندما اعلن بتاريخ 19/2/1986 وقف التنسيق السياسي مع منظمة التحرير الفلسطينية. وقد استمرت المنظمة في رفضها للقرار 242 وعدم اعتباره صالحا لحل القضية الفلسطينية إلى ان اعلن الملك حسين في 31 تموز يوليو 1988 قراره بفك الارتباط القانوني والاداري بين الضفة الغربية المحتلة والمملكة الاردنية الهاشمية. ولقد مثلت هذه الخطوة في احد جوانبها اعترافا واضحا باستقلال الشعب الفلسطيني وباهلية منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد له.

لقد استطاعت الانتفاضة بعنفوانها ان تعيد الوديعة من الاردن إلى م. ت. ف وبهذا اصبح مطلوب من المنظمة اتخاذ الخطوة العملية التنفيذية. وقد طرحت في اللجنة المركزية كافة الخيارات الناتجة عن الاجراء الاردني وفي ظل شعار الانتفاضة الذي ينادي (بدحر الاحتلال والحرية والاستقلال) وكانت الخيارات المطروحة تتلخص في :

1. تشكيل حكومة مؤقتة.

2. اعلان قيام الدولة الفلسطينية وانشاء حكومة منفى.
3. الطلب من الامم المتحدة الاشراف على المناطق المحتلة كمرحلة انتقالية تهيئ لاقامة الدولة المستقلة.
4. الاستمرار بالخط السياسي والنضالي القائم (برنامج م. ت. ف) بدون أي تعديل.

وجاءت الدعوة لعقد المجلس الوطني الفلسطيني في دورته التاسعة عشرة التي عقدت في الجزائر من 12-15 نوفمبر/تشرين ثاني. دورة الانتفاضة/دورة الشهيد القائد ابو جهاد. والتي تبنت خيار اعلان الاستقلال. الذي جاء في نصه ما يلي (واستنادا إلى الحق الطبيعي والتاريخي والقانوني للشعب العربي الفلسطيني في وطنه فلسطين وتضحيات اجياله المتعاقبة دفاعا عن حرية وطنهم واستقلاله. وانطلاقا من قرارات القمم العربية ومن قوة الشرعية الدولية التي تجسدها قرارات الامم المتحدة منذ عام 1947 ممارسة من الشعب الفلسطيني لحقه في تقرير المصير والاستقلال السياسي والسيادة فوق ارضه، فان المجلس الوطني يعلن: باسم الله وباسم الشعب العربي الفلسطيني قيام دولة فلسطين فوق ارضنا الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف). (45)

وقد اشتمل البيان السياسي الصادر عن الدورة التاسعة عشرة موافقة المجلس على قراري مجلس الامن 242، 338 حيث جاء في نص ذلك البيان ما يلي:
(يؤكد المجلس الوطني الفلسطيني على:

1. ضرورة انعقاد المؤتمر الدولي الفعال الخاص بقضية الشرق الاوسط وجوهرها القضية الفلسطينية تحت اشراف الامم المتحدة وبمشاركة الدول دائمة العضوية في مجلس الامن الدولي وجميع اطراف الصراع في المنطقة بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني وعلى قدم المساواة.
وباعتبار ان المؤتمر الدولي ينعقد على قاعدة قراري مجلس الامن رقم 242 و 338 وضمان الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني وفي مقدمتها حقه في تقرير المصير عملا بمبادئ واحكام ميثاق الامم المتحدة بشأن حق تقرير المصير للشعوب وعدم جواز الاستيلاء على اراضي الغير بالقوة أو بالغزو العسكري ووفق قرارات الامم المتحدة الخاصة بالقضية الفلسطينية.
2. انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي الفلسطينية والعربية التي احتلتها منذ العام 1967 بما فيها القدس العربية.
3. إلغاء جميع اجراءات الالحاق والضم وازالة المستعمرات التي اقامتها اسرائيل في الاراضي الفلسطينية والعربية منذ العام 1967.
4. السعي لوضع الاراضي الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس العربية تحت اشراف الامم المتحدة لفترة محدودة ولحماية شعبنا ولتوفير مناخ مؤات لانجاح اعمال المؤتمر الدولي والوصول إلى تسوية سياسية شاملة وتحقيق الامن والسلام للجميع بقبول ورضى متبادلين ولتمكين الدولة الفلسطينية من ممارسة سلطاتها الفعلية على هذه الاراضي.
5. حل قضية اللاجئين الفلسطينيين وفق قرارات الامم المتحدة الخاصة بهذا الشأن.
6. ضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية في الاماكن المقدسة في فلسطين لاتباع جميع الاديان.
7. يضع مجلس الامن ويضمن ترتيبات الامن والسلام بين جميع الدول المعنية في المنطقة بما فيها الدولة الفلسطينية.

يؤكد المجلس الوطني الفلسطيني على قراراته السابقة بشأن العلاقة المميزة بين الشعبين الشقيقين الاردني والفلسطيني وان العلاقة المستقبلية بين دولتي الاردن وفلسطين ستقام على اسس كونفدرالية وعلى اساس الاختيار الطوعي والحر للشعبين الشقيقين تعزيزا للروابط التاريخية والمصالح الحيوية المشتركة بينهما). (46)

لقد اكدت الانتفاضة الجبارة قدرتها العملية على ان تفرض حقائق المرحلة السياسية الراهنة التي استوجبت رؤية واقعية ذات بعد استراتيجي واضح. فالكيان الصهيوني الذي يتطلع إلى السيطرة الكاملة على ما يسميه (ارض اسرائيل) والذي يرى ان الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية بعمقها القومي تشكل سدا في وجه هيمنته على المنطقة. ومن هذا المنطلق ظل يرفض فكرة الدولة. وكان اقصى ما يمكن القبول به هو حاله حكم ذاتي للسكان داخل الضفة الغربية والقطاع. وهي السياسة التي ينتهجها حزب الليكود. أو ان تسلم بعض الاراضي الفلسطينية والشعب الفلسطيني في الضفة الغربية إلى الاردن لتشكل جسرا يساهم في تحقيق العبور الصهيوني إلى المنطقة.

ومع بروز قوة العراق بعد انتصاره في الحرب العراقية الايرانية. واستمراره في موقفه الداعم لمنظمة التحرير الفلسطينية ولبرنامج تحرير فلسطين كان لا بد من تغيير سياسته تجاه حق اسرائيل في الوجود. وقد بدأت مطلع العام 1990 مباحثات امريكية عراقية بهدف دفع العراق نحو سياسة تصالحية مع الكيان الصهيوني، ليضمن استمرار العلاقة الامريكية العراقية التي تسعى إلى خلق حالة تفاهم ضمني بين العراق والسعودية واسرائيل، كما جاء في نص تقرير معهد واشنطن لسياسة الشرق الادنى الذي وضعه مارتن انديك وشارك فيه دينس روس، تحت عنوان (البناء من اجل السلام).

وادى رفض العراق إلى الاستجابة للضغوط الامريكية إلى توريطه في الحرب العدوانية التي شنتها عليه الولايات المتحدة. تحت راية الامم المتحدة. وبموافقة الاتحاد السوفيتي المنهار وبمشاركة بعض الدول العربية تحت اسباب وذرائع مختلفة. وقد تمت بعد انتهاء عدوان التحالف الامريكي على العراق الدعوة إلى مؤتمر مدريد. وكانت شروط شامير لحضور المؤتمر ان تغيب م. ت. ف عن الوجود.. وقد تحقق له ذلك من خلال تحول المنظمة إلى لاعب خفي، في حين تشكل الوفد الاردني الفلسطيني المشترك بحيث لا يضم اعضاء من القدس أو من منظمة التحرير الفلسطينية، وذلك بناء على شروط شامير مقابل عدم مشاركته في الحرب ضد العراق وتحمل الضربات العراقية على الكيان الصهيوني.

ومع سقوط الليكود في الانتخابات. وصعود حزب العمل بقيادة رابين، ورافق ذلك سقوط الحزب الجمهوري بقيادة بوش وصعود الحزب الديمقراطي بقيادة كلينتون، تحولت الادارة الامريكية من خلال دينس روس ومارتن انديك اللذين يمثلان سياسة الليكود، إلى عقبة في وجه تطلع حزب العمل إلى بناء شرق اوسط جديد. الامر الذي يتطلب سياسة احتواء تجاه الشعب الفلسطيني بما فيها الاعتراف بمنظمة التحرير. وقد قام بيريز بفتح قناة خلفية للتفاوض توصلت إلى اتفاق اوسلو الذي تم فيه وضع اعلان مبادئ، وثيقة اتفاق الاعتراف المتبادل. بين م. ت. ف والحكومة الاسرائيلية، وتم توقيع الاتفاق في 13/سبتمبر/1993 في ساحة البيت الابيض حيث بدأت التحضيرات لمرحلة الحكم الذاتي والمرحلة الانتقالية التي تستمر حسب الاتفاق لمدة خمس سنوات ابتداء من 4/5/1994 وحتى 4/5/1999، حيث كان من المفترض اعلان تجسيد الدولة الفلسطينية في ذلك التاريخ.

لم تجر الامور كما تخيلها واضعو اتفاقية اوسلو، حيث حصلت تطورات ادت إلى اغتيال رابين ووصول نتنياهو، المعادي لاتفاق اوسلو، إلى سدة الحكم واستمرار المراوغة والمماطلة التي وصلت إلى نهاية المرحلة الانتقالية دون الالتزام بالانسحاب من الارض باستثناء قضايا الوضع النهائي. ولم يتم التوصل إلى حل أي قضية من قضايا الوضع النهائي.

كان على المنظمة التزاما بحقها في تقرير المصير دون اتفاق مع الا سرائيليين ان تعلن تجسيد الاستقلال بعد انتهاء مرحلة الحكم الذاتي في 4/5/1999.ولكنها احجمت بسبب نصائح كلينتون والمجموعة الاوروبية وعدد من الدول الصديقة والشقيقة. ذلك لكي لا يؤثر هذا الاعلان على الانتخابات الاسرائيلية التي دعا اليها نتنياهو لسد الطريق امام اعلان تجسيد الدولة.

ونجح باراك.. واصبح الحديث عن الدولة الفلسطينية في عهدة قضية مألوفة ولكنها تطرح السؤال.. عن اي دولة فلسطينية يدور الحديث؟!

فالدولة التي تحاصرها لاءات باراك هي دولة غير قابلة للولادة لان الشعب الفلسطيني يرفضها.
والدولة التي تتمسك بثوابت الشرعية الدولية هي طموح لا يمكن ان يتم التوصل مع الاسرائيليين إلى تحقيقه. ولا بد من اتخاذ خطوات واجراءات لتجسيد السيادة التي تشكل السد في وجه المد الصهيوني الذي يتطلع إلى الهيمنة على النظام الشرق اوسطي الجديد في ظل الهيمنة الامريكية على النظام العالمي الجديد.

وفي كامب ديفيد اصبحت الدولة الفلسطينية عنوانا واضحا على الرغم من عدم التطرق لها في الاتفاقيات الفلسطينية الاسرائيلية، سواء في اوسلو (1) أو اوسلو (2) أو بروتوكولات الخليل ونهر الواي وشرم الشيخ، ولقد اصبحت ورقة للمساومة.. وهي بمواصفات الدولة التي تشكل جسر العبور الصهيوني وليس سد في وجه الهيمنة الصهيونية. ويحاول الامريكان والصهاينة صياغة مجتمع فلسطيني مدني يرضى بالمواصفات التي تصفها اسرائيل للدولة المنشودة سواء من حيث التبعية الاقتصادية. أو عدم التواصل الجغرافي والسيادة المشتركة على القدس، وبقاء الكتل الا ستيطانية والمشاركة في الحدود الشرقية. والتجريد من السلاح. والسيطرة الاسرائيلية على المجال الجوي.. والمياه..

وتحت شعار السلام يحاول الصهاينة تحويل شباب الانتفاضة الجبارة.. والسواعد التي حملت حجارة المقاومة والتي تضع السد في وجه المد الصهيوني. يحاولون اغراءهم ليتحولوا إلى حجارة الجسر الذي تدوس عليها احذية الصهاينة للعبور والهيمنة على الوطن العربي والامة العربية. وسواء تحت عنوان مركز بيريز للسلام الذي يقوده رئيس الشاباك السابق كارمي غيلون. أو تحت عنوان بذور السلام التي سعى إلى زراعة بذور الخنوع والاستكانة في عقول الشباب، بعيدا عن الانتماء الوطني والموروث الحضاري والنضالي للشعب الفلسطيني. فان معركة بناء وتجسيد الدولة الفلسطينية تظل هي الاساس، وهي قضية استراتيجية لا يجوز تحولها إلى قضية تكتيك. ولا يجوز التوقف لحظة واحدة عن اتخاذ الاجراءات الممكنة لتجسيد السيادة بما يؤكد ان دولة فلسطين المستقلة ستكون دولة الصمود العربي في وجه الغزوة الصهيونية. دولة السلام والعدالة والديمقراطية التي تستطيع التعايش مع الشعب اليهودي المتخلص من النزعات العنصرية والصهيونية. والتي تفتح آفاق مستقبل مزدهر بالسلام والعدالة. والامن والامان، في ظل دولة ديمقراطية تقوم على اساس الارادة الحرة لمواطنيها دون تمييز بسبب الجنس أو الملون أو العقيدة وتكون القدس عاصمتها الابدية.

الهوامش:

2. جريدة دافار 15/9/1993.
3. زئيف شيف، هآرتس 3/9/1993.
4. جريدة دافر مصدر سابق.
5. المصدر السابق.
6. بن كسيفت وايلان كفير - باراك الجندي رقم واحد ص 315 -316.
7.
8.
9. الحقيبة.
10. اتفاقية شرم الشيخ.
11. الحقيبة.
12. المصدر السابق.
13. اتفاقية المرحلة الانتقالية.
14. تقرير خاص.
15. نشرة فتح.
16.
17. الحقيبة 46.
18. نشرة فتح.
19. رابينوفتش.
20. الطريق الاسرائيلي - القدس.
21. من محاضر كامب ديفيد تقرير خاص.
22. المصدر السابق.
23. المصدر السابق.
24. المصدر السابق.
25. المصدر السابق.
26. المصدر السابق.
27. المصدر السابق.
28. المصدر السابق.
29.
30.
31.
32.
33.
34. عصام سخنيني فلسطين الدولة ص 82-83 (نص المذكرة من وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية 1918-1939 من اوراق اكرم زعيتر ص22.
35. تحت راية القاوقجي، خضر العلي محفوظ، ذكره عصام سخنين في فلسطين الدولة ص 87.
36. صبري جريس: شؤون فلسطينية عدد124، ص42-43.
37. محمد عزه دروزه. شؤون فلسطينية العدد 114 ص28.
38. المصدر السابق.

39. المصدر السابق ص115.
40. وليام كوانت، كامب ديفيد بعد عشر سنوات 456-459.
41. وثائق فلسطين دائرة الثقافة/ م.ت. ف. ص402-403
42. المصدر السابق ص398.
43. المصدر السابق 338.
44. المصدر السابق ص409.
اعلان الاستقلال/ تعميم تنظيمي خاص، باعضاء حركة فتح رقم 42 بتاريخ 15/11/88 ص5.
45. المصدر السابق ص11-12.